الجمهورية الجزائرية الديمقراطية
الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ابن خلدون – تيارت-
كلّية الآداب واللّغات
قسم اللغة والأدب العربي

محاضرات في مقياس النّص الأدبي القديم

مطبوعة بيداغوجية موجهة لطلبة السنة أولى ليسانس أدب عربي

إعداد : د/ شناوي علي
أستاذ محاضر – ب -
ملحقة قصر الشلالة جامعة ابن خلدون –تيارت–

السنة الجامعية
1444-1443 ه/ 2022-2021 م

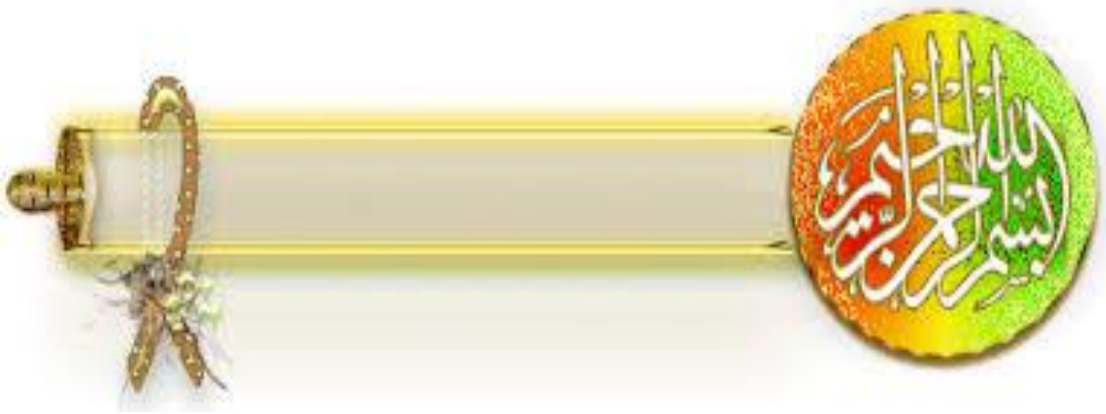
بسم الله الرحمن الرحيم

اسم الوحدة: الأساسية
اسم المادة: النص الأدبي القديم (شعر)
الرصيد:05
المعامل: 03
- محتوى المادة:

السداسي الأول وحدة التعليم الأساسية	مادة: النص الأدبي القديم (شعر)	المعامل:03	الرصيد:05

1	الشعر العربي القديم تاريخيا وجغرافيا
2	المعلقات مضامينها وأساليبها (نصوص من معلقة زهير بن أبي سلمى ـ معلقة امرئ القيس ـ معلقة عنترة)
3	شعر الصعاليك (نصوص...لامية العرب للشنفرى)...
4	الشعر في صدر الإسلام شعر الفتوحات
5	المراثي النبوية
6	شعر النقائض
7	الشعر العذري والشعر العمري
8	شعر الزهد والتصوف (نصوص من المشرق والمغرب، أبو العتاهية، ابن الفارض....
9	شعر الحماسة : نصوص لأبي تمام، البحتري،الزوزني. الشاطبي. الحماسة المغربية لأبي الحجاج يوسف البياسي
10	الشعر السياسي في المشرق والمغرب (الفتوحات، الخوارج، الشيعة، السجون، رثاء المدن..
11	الشعر الفلسفي وشعر الحكمة
12	الموشحات والأزجال
13	الشعر الأندلسي. (نصوص من أشعار ابن زيدون.....)
14	نصوص من الشعر الجزائري القديم. بكر بن حماد التيهرتي...

مقدمة

اشتغلت الدراسات الأدبية برصد الأعمال الأدبية وتطورها والكشف عن أجناسها، وما طرأ عليها من تحولات باستحداث بعضها. ولعل ما يمكن أن نؤكد عليه في هذا الصدد أنّ الشّعر مثلما هو معروف ديوان العرب ومحصّلة تفكيرهم وله خصائصه وجمالياته، بديهي أنْ لا يقدح في هذه المقولة ما يلمحه الباحث من ظواهر التفرّد عند بعض الشعراء سواء ما يتصل بالصناعة الفنية أو غلبة موضوعات بعينها، أو ما يحدث أحيانا حين يواكب الشّاعر أحداث بيئته التي قد تختلف عن أحداث ما عداها من الأمصار، وضمن هذا الأفق، تنوعت مصادر الشعر العربي القديم وآلياته، ويعود هذا التطور إلى ما امتلكه الشعراء من ثقافة متنوعة ومعرفة ثاقبة، إضافةً إلى وعيهم العالي واستيعابهم معالم التجربة الشعرية.

وهنا لم يعد نظم الشعر لديهم مجرد محاولة لإخراج المعاني والصور الفنية في لباس فنّي جديد، بل أصبح تجسيدا لرؤيتهم الشعرية؛ على أنّ هذا الدفق الشعري يروي أخبارهم، ويخلّد انتصاراتهم وبطولاتهم، ويدافع عن مبادئهم وسياساتهم، بل أكثر من ذلك فهو يربّي نفوسهم ويُقوّم سلوكاتهم، ولأنّه مدوّنة متعددة ومتنوعة سننتخب بعض النصوص لنلبي حاجات ومقاصد هذه المحاضرات والنصوص الشعرية التي نتوخى الوقوف عليها لتبيان شاعرية أصحابها من جهة، وتلمّس آليات بنائها في لباس فنّي قشيب لمعرفة أدبيتها من جهة أخرى، ثم إنّ هذا المنجز كان له أيضا تأثير بالغ على المتلقي معرفيا وجماليا.

ومن المهم في هذا الإطار، أن أسجل بعض الأهداف المسطرة في تدريس هذا المقياس بإمكاني أن ألخص بعضها فيما يلي:

- النّص الأدبي القديم مادة دسمة لكلام أسلافنا القدامى؛ إذْ يشكّل قضية مهمة وحساسة في الساحة الأدبية القديمة والحديثة، فضلا عمّا ينطوي عليه من تعقيد والتباسات.

- أصبحت الحاجة ملحة في راهننا، أيضا، إلى العودة إلى النصوص الأدبية القديمة الثرة بفذلكة معجمية متميزة.

- تحديد المفاهيم النظرية والأدوات الإجرائية من خلال الوقوف على الأغراض الشعرية، ممّا من شأنه أن يعزز مجهود الطالب بجهاز مفاهيمي وإجرائي يخول له تحليل النصوص الأدبية بكفاءة ووعي.

ومن اللافت للنظر أنّ النصوص العربية القديمة تغري الباحث من جوانب عدة، لا سيّما على صعيد الصوغ الفنّي والاستخدام اللّغوي وما يجلّيه من آليات وتقنيات وجماليات، فضلا على الإمكانات التأويلية والدلالية التي تنجم عن قراءة النص الشعري القديم، وما تصدم به من جهة أفق توقع القارئ بالأنساق المتحكمة في النص الشعري، وتحقيق شعريته الخاصة من جهة أخرى؛ فهي التي تكشف بجلاء خطابه الجمالي، وهذا مكمن السر في أغلب النصوص الشعريّة التي نستقبلها، كما كان بيان موقع الشعر العربي القديم نصيّا ووظيفيا من هذه الزاوية هدفا استراتيجيا، متخذا من الشعراء القدامى نماذج للدراسة، وعينات لاستجلاء معالم مضامين وأغراض الشعر المطروقة.

وفي خضمّ ذلك يستهدف مقياس النّص الأدبي القديم (شِعر) طلبة سنة أولى ليسانس تخصص الأدب العربي ويعدّ من المقاييس الأساسية، حيث يمكنهم من أن يكتسبوا مهارات من خلال التعرّف على المباحث التي يشغلها النّص الشعري القديم ومنها :

– التعرف على أهم القضايا التي خاض الشعر العربي القديم غمارها.
– أن يتعرّف الطّالب على النّص الشّعري القديم، وتاريخ ظهوره والبيئات التي ظهر فيها
– أن يقرأ الطّالب النّص الشعري القديم قراءة شعرية معبّرة وسليمة من دون ارتكاب أخطاء
– أن يتعرّف الطالب على نظام بناء النّص الشّعري القديم وأساليبه
– أن يحلل الطالب النّصوص الشّعرية القديمة على اختلاف أشكالها وموضوعاتها وبيئاتها.

هذا وقد حاولت قدر الإمكان التقيد بمفردات المقياس وفق ما هو مقرر لهذا المستوى، مع مسايرة خطوات الجدول الأكاديمي الجامعي المسطر من طرف أساتذة جامعة ابن خلدون -تيارت- وبلغة سلسة تتناسب وطلبة هذا المستوى، تماشيا مع عدد الحصص المخصصة للمقرر؛ أي بمعدل محاضرة واحدة في كل حصة نظرية.

وختاما نسأل الله عز وجل أن يرشدنا إلى الصواب، وأن يوفقنا إلى ما فيه الصلاح ولنا ولغيرنا.

د/ شناوي علي

قصر الشلالة في:14صفر 1443هـ الموافق لـ:21 /2021/09م

المحاضرة الأولى

الشعر العربي القديم تاريخيا وجغرافيا

محتوى المحاضرة:

- ✓ توطئة
- ✓ الإطار التاريخي للشعر العربي القديم
- ✓ العصور الأدبية
- ✓ الإطار الجغرافي للشعر العربي القديم

لا ريب أنّ الشعر العربيّ القديم يمثّل مادّة نصّيّة غنية وخصبة، وفي رحاب ذلك نلفي مدوّنة متعددة ومتنوعة حجم المادة الشعرية وتعدد مباحثها، ومن ثمّ اعتبر أحدُ أهمّ فنون الأدب عند العرب منذ بداياته في العصر الجاهليّ مرورًا بجميع العصور التي تلتْه، وهي على الترتيب: العصر الجاهلي، صدر الإسلام، العصر الأموي، العصر العباسي.

وفي هذا الصّدد، نلفي أنّ الشعر العربي إرث قديم من الجاهلية ضاربة جذوره إلى حياة العرب قبل الإسلام، على أنّ هذا الإرث وصل إلينا في أتمّ مرحلة نضجه واكتماله، لأنه كان ناقلا للقيم والأخلاق والعادات والتقاليد والمشاعر والأفكار وكل ما يرتبط بالإنسان؛ وفي ظل ذلك عالج الشاعر أغراضا عديدة وموضوعات شتى عبّر من خلالها عن حياته وبيئته من وصف وغزل ومدح ووقوف على الأطلال ومدح وهجاء وافتخار، " فالدوافع النفسية ضرورية لإثارة الشاعر حول تجربة من تجاربه، أو قضية من قضاياه، أو موقف من مواقف الحياة، أو منظر من مناظر الطبيعة. لابدّ من دافع إذن يدفع الشاعر إلى الشعر، ويدفع الشعر من خلال الشاعر إلى أنْ يكون تعبيرا عما يحسّه في وجدانه، وما يعتمل في خاطره." [1]

وضمن هذا الأفق، تنوعت مصادر الشعر العربي القديم، ويعود ذلك إلى ما امتلكه الشعراء من ثقافة ومعرفة متنوعة، وفي هذا الصّدد نلفي نفرا من الشعراء الذين صدحت قرائحهم لنظم الشعر وفي أغراض شعرية متنوّعة، فضلا عن الغنائية التي ارتبطت بالشّعر القديم، إذ التصقت غنائية الشعر قديما بالحداء الذي يعتمده العربي في ترحاله مع ناقته ،ومن هنا نجد

[1]– فتحي أحمد عامر، من قضايا التراث العربي دراسة نصية نقدية تحليلية مقارنة، منشأة المعارف، الاسكندرية، د ط، ص7.

قريض الشعر لديهم لا يغدو مجرد محاولة لإخراج المعاني والصور الفنية في لباس فنّي، بل تجسيدا لواقع معيش تكتنفه شعرية عربية لها آفاقها وجمالياتها.

إنّ تحديد زمن الشّعر العربي القديم تاريخيا يحيلنا إلى تلك المحطّات من تقسيمه إلى عصور أدبيّة، ومن ثمّ المخاض الذي ارتسمت في كنهه قوالب الشّعر الفنيّة تبعا لمتغيّرات ومتطلبات كل عصر من جهة، ومن جهة أخرى قرائح الشعراء التي صدحتْ بما يتلاءم وتلك المتطلبات، وفي هذا المضمار نلفي:

1- العصر الجاهلي:

ممّا لاشك فيه أنّ النظرة التي ارتسمت لدى الكثير إلى تحديد فترة العصر الجاهلي بربطها كل ما سبق الإسلام من حقب وأزمنة " فهو يدل على الأطوار التاريخية للجزيرة العربية في عصورها القديمة قبل الميلاد وبعده. ولكن من يبحثون في الأدب الجاهلي لا يتسعون في الزمن به هذا الاتساع، إذ لا يتغلغلون به إلى ما وراء قرن ونصف من البعثة النبويّة، بل يكتفون بهذه الحقبة الزمنية، وهي الحقبة التي تكاملت فيها للّغة العربية منذ أوائلها خصائصها، والتي جاءنا عنها الشعر الجاهلي."[1] وعلى هذا النحو، فإنّ تحديد فترة العصر الجاهلي تتحدد بهذه الفترة التي ارتسمت فيها الخصائص.

[1]– شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، دار المعارف، القاهرة، ط24، 2003، ص38.

وفي هذا السياق يتحدث الجاحظ عن تاريخ الشعر العربي وبدايات نشوء القصيدة العربيّة: " وأمّا الشّعر فحديث الميلاد، صغير السن، أوّل من نهج سبيله، وسهّل الطريق إليه: امرؤ القيس بن حجر، ومهلهل بن ربيعة."[1]

على أنّ الشعر الجاهلي مثّل حياة العربي أحسن تمثيل؛ إذْ كان في نفوس الشعراء تأثير أشدّ من تأثير السّحر، وفي خضمّ ذلك عكفواْ يتبارون متفننين في نظمه وفي هذا السياق نلفي أنّ الشعر الجاهلي استوعب كل الأغراض الشّعرية التي طرقها الشعراء في تلك الحقبة الزمنية، فنجد غرض الغزل وفيه يصوّر الشاعر شدة ولوعه وافتتانه بمحبوبته فهذا امرؤ القيس يقول:

كَدَأْبِكَ مِنْ أُمِّ الحُوَيْرِثِ قَبْلَهَا وَجَارَتِـهَا أُمِّ الرَّبَابِ بِمَـــأْسِلِ

إِذَا قَامَتَا تَضَوَّعَ المِسْـــكُ مِنْهُمَا نَسِيمَ الصِّبَا جَاءَتْ بِرَيَّا القَرَنْفُلِ

فَفَاضَتْ دُمُوعُ العَيْنِ مِنِّيْ صَبَابَةً عَلَى النَّحْرِ حَتَّى بَلَّ دَمْعِيْ مِحْمَلِيْ [2]

وعلى صعيد آخر نجد غرض الفخر يعلو من خلال الاعتزاز والشجاعة والقوة تارة، أو النّسب والكرم والجود تارة أخرى وفي ذلك نلفي عمرو بن كلثوم معتزا بشجاعة قومه في لقاء العدو:

مَتَى نَنْقِل إلى قَومٍ رَحَانَا يَكُونُوا فِيْ اللِّقَاءِ لَهَا طَحِيْنَا

[1] – الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر، الحيوان، تح: عبد السلام محمد هارون، ج1، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، القاهرة، ط2، 1965، ص74.

[2] – أحمد الشنقيطي، شرح المعلقات العشر وأخبار شعرائها، دار الأندلس للطباعة والنشر، ط3، 1980، ص 77.

يَكُونُ ثِقَالُهَا شَرقيّ نَجْدٍ وَلَهْوَتُهَا قُضَاعَة أَجْمَعِـــينَا[1]

وغير بعيد عن غرض الفخر الذي يصور الأنفة والاعتزاز، نلفي غرض الحماسة ومن أبرز الشعراء الذين قرنت أسماؤهم بهذا الغرض عنترة بن شداد الذي يقول:

وَمُدَجَّجٍ كَرِهَ الكمـــــاةُ نِزالَه لاَ مُمْعِنٍ هَرَبًا وَلَا مُســـتَسْلِمِ

جَادَتْ لَه كَفِّيْ بِعَاجِلِ طَعْنَةٍ بِمُثَقف صِدْقِ الكُعُوبِ مُقَوَّمِ [2]

وفي خضم حديثنا عن الأغراض الشعرية التي طرقها الشعراء في العصر الجاهلي نجد غرض المديح والهجاء والرثاء وشعر الصعاليك وشعر المعلقات لا يسعنا المقام للاستشهاد بها، على أنّنا رصدنا آنفا على سبيل المثال لا الحصر، بيد أنّ كل ما سبق ذكره من الأغراض الشعرية نجد الشعراء فيه مستهلين هذه القصائد بمقدّمة طللية مستوقفين باكين على رسوم الحبيبة " فإذا ما نظرنا إلى مطالع قصائدهم وجدناها تسير وفق سنة واحدة هي ذكر الديار والبكاء على الأطلال ومخاطبة الأثار ومنازل المحبوبة." [3] فهذا امرؤ القيس أوّل من بكى واستبكى ووقف:

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيْبٍ وَمَنْزِلِ بِسِقْطِ اللّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ [4]

[1] – أحمد الشنقيطي المرجعالسابق، ص 141.

[2] –المرجع نفسه، ص 164.

[3] – زكريا صيام، دراسة في الشعر الجاهلي، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، ط2، 1993، ص51.

[4] – أحمد الشنقيطي، المرجع السابق، ص 75.

على أنّ هذه القصيدة من شعر المعلقات التي يعتبرها النقاد من أحسن ما جادت به قريحة الشاعر الجاهلي، وذلك لغنى مضامينها وتفنّن شعرائها. وأيًّا ما يكن الشّأن سنرجئ كلامنا عن الحديث في شعر المعلقات والاستشهاد بما جاء في ثناياها إلى المحاضرة الثانية تجنّبا لمنهج السّرد ورصف الأشعار.

بناءً على ما سبق، نستشفّ أنّ شعراء العصر الجاهلي كانوا قابضين بقرائحهم على ناصية الشّعر، فخلّدوا بشعرهم بيئتهم وأبقوه صورة لحياتهم هي أصدق سفر للمؤرخين وأدقّ سجل للباحثين.

2- عصر صدر الإسلام:

ويبدأ من بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم، إلى غاية انتهاء حكم الخلفاء الراشدين وقيام الدولة الأموية 41هـ، وممّا لا شك فيه أنّ ظهور الإسلام أحدث نقلة نوعية بارزة في سجل الأدب العربي، إنْ على مستوى عقيدة العربي أو وما طرأ على الفكر العربي من نور العقيدة الجديدة التي استوطنها، كان لابد أن يجد هذا التغيير سبيله إلى الأدب العربي شعره و نثره، فقد تأثر الشعر بالقرآن الكريم وأخذ الشعراء يغترفون من آي القرآن ومن ألفاظه ومعانيه ما يتوافق مع قريحتهم الشعرية " لقد حظر عليهم الإسلام أنْ يلموا منه إلا بما عفّ لفظه وشرف معناه ... من أجل ذلك تحوّلوا عن معانيهم الشعرية التي أجادوها، وأبدعوا فيها إلى المعاني التي أقرّها الدين الحنيف ويرتضيها، بل إنّ من شعرائهم من امتنع عن قول الشّعر في الإسلام؛"[1] أما الشعراء الذين دخلوا في الإسلام من غير شعراء مكة والمدينة فقد قل شعرهم

[1] – مصطفى السيوفي، تاريخ الأدب في صدر الإسلام، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية ، القاهرة، ط1، 2008، ص77.

أو توقف، ومن هؤلاء لبيد بن ربيعة العامري، وكعب بن زهير، وذلك يعود إلى ورع الشعراء وعدم إطلاق العنان لألسنتهم، فالإسلام نفَّر من الشعر السيء ولكنه لم يحرم الشعر فقد ورد في القرآن الكريم: ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ (224) أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ (225) وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لا يَفْعَلُونَ (226) إلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ (227)﴾[1]

ففي الآية الأولى لا نجد تحريماً للشعر، والحديث الشريف ينفر من الشعر السيء، أي إنه لا يحرم الشعر بدليل قول الرسول صلى الله عليه وسلم: "إنّ من الشعر لحكمة"، اضطر شعراء الأنصار إلى الدفاع عن الإسلام وعن الرسول صلى الله عليه وسلم بعدما أنْ تطاولت ألسنة المشركين على هجاء الرسول والسخرية من الدين الجديد، ومن بين الشعراء الذين جعلوا قرائحهم سهاما لاذعة للتصدي لهم نجد: حسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحه، وقد دفعت هذه الخصومة شعراء مكة إلى الإكثار من الشعر، ومن شعراء مكة عبد الله بن الزبعري، وضرار بن الخطاب، وأبو سفيان بن الحارث.

وضمن هذا الأفق، نجد من أبرز الأغراض الشعرية التي كثرت شعر المديح وشعر الفتوحات فهذا حسّان بن ثابت يمدح الرسول صلى الله عليه وسلم قائلا:[2]

- وَأَحْسَنُ مِنْكَ لَمْ تَرَ قَطُّ عَيْنِي وَأَجْمَلُ مِنْكَ لَمْ تَلِدِ النِّسَاءُ
- خُلِقْتَ مُبَرَّأً مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ كَأَنَّكَ خُلِقْتَ كَمَا تَشَاءُ

[1]– سورة الشعراء، الآية: 224، 225، 226، 227.

[2]– حسان بن ثابت، الديوان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2 ، 1994، ص21.

ويقول عن غزوة بدر:[1]

- نَجَّى حَكِيْمًا يَوْمَ بَدْرٍ رَكْضُـــهُ كَنجَاءِ مَهْرٍ يَوْمَ مِنْ بَنَاتِ الأَعْوَجِ
- أَلْقَى السِّلاَحَ وَفَرَّ عَنْهَا مُهْمِلًا كَالهِـــبرزِي يَزِلُّ فَوقَ المـــــنْسَجِ
- لمِاَ رَأى بَدرًا تَسِيْـــلُ جَلاَهِها بِكِتـــــابِ مِلأوسِ أَوْ مِلْخـــــزْرَجِ

وفي هذا السياق، نجد أنّ المعاني الشعرية في عصر صدر الإسلام اختلفت، وتميزت عن العصر الجاهلي، فإن هذا الاختلاف شمل أسلوب الشعر أيضاً .وأهم ما يميز أسلوب الشعر في هذا العصر ما يلي:

- ✓ التأثر بأسلوب القرآن الكريم والحديث الشريف.
- ✓ وجود ألفاظ جديدة في أساليب الشعراء في هذا العصر . مثل :الجنة، النار، الكفار،

المشركون، الفاسق...

- ✓ البعد عن الصنعة والتكلف في معظم أساليب الشعر وألفاظه.

3-العصر الأموي: يؤرخُ للعصر الأموي ابتداء من 41 هـ إلى غاية انتزاع العباسيين الخلافة من بني أمية سنة 132هـ[2] إذ في هذا العصر ظهرت أغراض شعرية لم يكن للعرب معرفة بها كالشعر السياسي الذي ظهر بسبب الأحزاب السياسية المتصارعة على الحكم،

[1] – حسان بن ثابت، الديوان، المرجع السابق، ص49.

[2] – عبد العزيز عتيق، الأدب الإسلامي والأموي، دار النهضة، لبنان، ط1، 2001، ص41.

ومن جهة أخرى تطوّر فن الغزل وأصبح فنّا قائما بذاته بخلاف ما كان في العصور السابقة للعصر الأموي، وظهر شعر النقائض الذي يكرّس مبدأ التعصب للعرق والمذهب والتوغل في الفخر، ومن الشعراء العصر الأموي نجد: الفرزدق، جرير، الأخطل في شعر النقائض، والكميت بن زيد الأسدي، والأخطل، الفرزدق، عبد الله بن هشام السلولي، عبد الله بن قيس الرقيات، فروة بن منوفل زفر بن الحارث في الشعر السياسي ومدح الخلفاء، وعمر بن أبي ربيعة، وقيس بن ذريح، وقيس بن الملوح، وجميل بن معمر في شعر الغزل

ومن النماذج الشعرية عن شعر الغزل في العصر الأموي نجد قول عمر بن أبي ربيعة:[1]

- أتــوصلُ زينـــبُ، أمْ تهجرُ، وإنْ ظلمـتنا، ألا تغفرُ؟
- أدلَّتْ، ولجَّ بــها أنـــــها تُرِيدُ العِتَابَ وَتَسْتَـكْبِرُ
- وتعــلمُ أنّ لـــهــا عنــدنا ذَخَائِرَ مِلْحُبِّ لا تَظْهَرُ
- ووداً، ولو نطقَ الكاشــحو ـن فيها وَلَوْ أَكْثَرَ المكْثِرُ
- ولستُ بناسٍ مقالَ الفتاةِ، غَداةَ المحَصَّبِ إذْ جَمَّرُوا
- أَلَسْـــتَ مُلِـمًّا بِنَا يَا فَتًى إذا نام عنّا الأولى نحذر؟

[1] – عمر بن أبي ربيعة، الديوان، ، تقديم: فايز محمد، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1996، ص184، 185.

4- العصر العباسي: يُؤرّخ للعصر العباسي بدءً من سقوط الدّولة الأموية سنة 132هـ في يد بني العباس، إلى غاية سنة 656هـ وسقوطها على يد التتار[1] عرف العصر العباسي بالعصر الذّهبي نتيجة التطور الهائل الذي لحق المعارف والعلوم والأدب شعره ونثره والعمران، وشتى المجالات، أمّا عن تطور الشّعر فقد كان لتمازج الثقافات الفارسية والهندية واليونانية أثر جلّي على الشعر وحركة الترجمة وبعث أدب يحمل في طياته رؤى فكرية وطروحات فلسفية.

وأصبح الأدب شعره ونثره متأثرا بالدرس الفلسفي اليوناني والحكمة الهندية والفارسية إذ أن "البناء الفني للشعر لم تنفصل وحداته عن البناء العقلي العام، بل قل إنَّ هذا البناء أخذ يتشكل في أوضاع جديدة تحت تأثير الرقي الفكري الذي أصاب العقلية العربية"[2]، ومن بين شعراء العصر العباسي نجد: أبو العتاهية في شعر الزهد، وأبو نوّاس في الخمريات، وأبو تمام والمتنبي في الحكمة، والبحتري في الوصف والمدح، ومن ثمّ، فالمتأمل في الشعر العربي حتى في أوج التمازج والتلاقح الحضاري والثقافي والفكري، يجد أن من الشعراء من نأى بنفسه عن التيارات الفلسفية التي غزت المشهد الشعري آنذاك سواء عند الشعراء المحسوبين على الطوائف الكلامية أو غيرهم، إلا أن هذا الشعر ظل محتفظًا بهويته مع مجموعة من الشعراء أمثال أبو تمام، المتنبي الذي يقول:[3]

- إذَا مَا تَأَمَّلْتُ الزَمانَ وصَـــرفهُ تَيقنتُ أنَّ المَـــوتَ ضَرْبٌ مِنَ القَتلِ
- ومَا الدَّهرُ أهلٌ أنْ تـُؤمل عِندهُ حَياةً وأنْ يُشْـــتاقَ فيهِ إلى النَّـسلِ

[1]– شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي الأوّل، دار المعارف، القاهرة، ط12، ص 30

[2]– شوقي ضيف، التطور والتجديد في الشعر الأموي، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط8 ، 1987، ص.85

[3] – المتنبي، الديوان، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، د ط، 1983، ص87

وفضلا على ما تقدمّ، بقي أنْ نشير إلى قضية هامة قضية هامة هي أنّ الكثير ممن يعتبر الأندلس عصرًا زمنيًّا قد مرّ على الأمّة، وإنّما كانت بدايتها في عهد الخلافة الأموية، ثمّ عاصرت الخلافة العباسيّة في بغداد، ومع ذلك فقد بقيت تابعة للخلافة الأموية حتى عصر الطوائف، ويرى الباحثون أنّ التسمية الأنسب هي: "الشعر العربي في الأندلس"[1]

وفضلا عن ذلك، تميّز الشعر الأندلسي بخصائص متعدّدة وفي هذا الإطار نلفي أنّ ألفاظ الشعر الأندلسي سهلة رقيقة عذبة، خيالية ما فيها أثر أو خلل، فجاء أكثر شعرهم جاريا على الطبع من غير تكلّف أو تصنّع، وتتميّز معاني الشعر بأنّها واضحة جليّة بعيدة عن تعمّق الفلاسفة، وقد برع شعراء الأندلس في التصوير وأغرقوا في التخيل[2]، زد على ذلك تخلص الشعر الأندلسي من قيود القصيدة التقليدية، ويظهر هذا واضحًا في الموشحات الأندلسية، وعلى صعيد آخر تميز الأندلسيون بشعر الطبيعة، و تفوقوا فيه، وأتوا بقصائد كثيرة تعبر عن جمال طبيعة الأندلس من بساتين، وحقول، وأزهار، وأنهار، وغيرها.

ومن من أبرز شعراء العصر الأندلسي الذين ألفوا العديد من القصائد نجد : أبو البقاء الرندي، أبو إسحاق الألبيري، ابن الزقاق البلنسي، ابن خفاجة، ابن دارج القسطلي، ابن زمرك، ابن زيدون، ابن سهل الأندلسي، ابن شهاب، ابن شهيد، ابن عبد ربه، ابن هانئ الأندلسي، ابن خفاجة، المعتمد بن عباد، ابن الأبار.

[1] – ينظر، زروقي بن فطيمة، ليازيدي فاطيمة، مظاهر التجديد في الشعر الأندلسي، مطبوعات جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم – الجزائر، ، صفحة 7 ، 8.

[2] – ينظر، مصطفى الشكعة، الأدب الأندلسي، موضوعاته وفنونه، ج1، دار العلم للملايين، تحقيق :احسان عباس، الناشر، دار صادر، بيروت، لبنان، 1968 ، ص248

تفنن الأندلسيون في شعر الطبيعة ووصف ما فيها ولم يدعوا شيئا فيها إلا وبرعوا في وصفه، وفي هذا الإطار نجد الشاعر ابن خفاجة الذي اقترن اسمه بشعر الطبيعة ومناظرها بأبيات جميلة معبرة من الأوصاف والتشبيهات الجميلة والاستعارات الرائعة المبنية على بيئة الأندلس وحضارتها ما تطير له النفس ارتياحاً وقبولاً وإعجاباً قائلا:[1]

سقيًا ليوم قد أنختُ بسرحةٍ ريّا تُلاعبُها الشمال فتلعب

سكرى يغنّيها الحمام فتنثني طرباً ويسقيها الغمام فتشرب

يلهو فترفع للشبيبة راية فيه ويسرج للتصابي مركب

ويكرمن كأس المداحة أشقر يجري ويطلع للسلافة كوكب

والروض وجه أزهر والظل فر غٌ أسود والماء ثغر أشنب

واستحدث الأندلسيون هذا الفن ونبغوا فيها وأفردوا له القصائد الطوال، وأصبح عندهم فنّا قائما بذاته، وفي هذا الصّدد، نلفي القصيدة الرائعة الخالدة، للشاعر أبي البقاء الرندي الذي عبّر عن الفاجعة التي حلّت بالأندلس أصدق تعبير، فلم يدع شيئا حلّ ببلاد الأندلس إلاّ وتعرض له بحزن وكمد يئن له القلب وفي ذلك يقول:[2]

- لِكُلِّ شَيْءٍ إِذَا مَا تَمَّ نُقْصَانُ فَلَا يُغَرَّ بِطِيبِ العَيْشِ إِنْسَانُ

- هِيَ الأُمُورُ كَمَا شَاهَدْتُهَا دُوَلٌ مَنْ سَرَّهُ زَمَنٌ سَاءتْهُ أَزْمَانُ

[1]- ديوان ابن خفاجة ، دار المعرفة، بيروت، ط1، 2006، ص40، 41

[2]- ديوان أبو البقاء الرندي الأندلسي، تح: رفعت برهام حسن، القاهرة، ط1 ، د ت، ص57، 58.

- وهذهِ الدارُ لا تُبْـقي على أحدٍ ولا يدومُ على حـالٍ لها شانُ
- يُمَزق الدهرُ حتمًا كلَّ ســابغةٍ إذا نَبَتْ مَشـرَفِيات وخَرصانُ

الإطار الجغرافي للشعر العربي القديم:

تقع بلاد العرب في الجزء الجنوبي الغربي من آسيا، وهي عبارة عن شبه جزيرة محاطة بالماء من جهات ثلاث؛ حيث يحدها البحر الأحمر من الغرب، والخليج العربي من الشرق، والمحيط الهندي من الجنوب، أمّا من الشمال فهي تمتد من مدينة غزة وتمرّ عبر البحر الميت من جهة الجنوب، ثم إلى دمشق ومنها لتصل حدودها الفرات، وسُمّيت شبه جزيرة لأنّ الماء يحيط بها من ثلاث جهات فقط، أمّا موقعها الاستراتيجي فله أهمية بالغة؛ حيث تربط بلاد حوض البحر المتوسط مع جنوب وشرق آسيا، كما تتصّل بأفريقيا عن طريق صحراء سيناء، وهي طريق حيوي لنقل التجارة، وقد قامت فيها العديد من الحضارات، وقد قسّم العرب شبه الجزيرة العربية إلى خمسة أقسام، هي: اليمن، والحجاز، وتهامة، ونجد، والعروض.[1]

وفي هذا الإطار، تعد الجزيرة العربية مهد الأدب الجاهلي، و منبع صوره، ومدار مواضيعه، وفي هذا الصّدد يحدّد آندريه ميكيل André Miquel " على أنّها أرض منفصلة عن غيرها .يدل الاصطلاح المحلي الذي يطلق على شبه الجزيرة العربية أن سكان المنطقة يعرفون أنّهم يمتلكون حقيقًة شبه قارة . جزيرتهم لهم وحدهم . هذه ال (جزيرة العرب) المنفصلة عن كل من إفريقيا وآسيا بواسطة البحر، وعن بلاد الرافدين القديمة

[1]– ينظر، عبد الحميد حسين حمودة، تاريخ العرب قبل الإسلام، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ط1، 2006، ، ص26، 27

والساحل، الشرقي للمتوسط بواسطة الصحاري المجدبة والشاقة."[1] تجمع المصادر العربية المدونة على تحديد أرض الجزيرة ضمن الحيز الجغرافي الممتد بين جنوبي بلاد الشام و جبال سيناء شمالا إلى بحر العرب؛ المحيط الهندي؛ جنوبا .وبين البحر الأحمر؛ غربا ؛ والخليج العربي وجنوب العراق؛ شرقا، فهي خمسة أقسام ففي معجم البلدان: ...قال :فصارت بلاد العرب من هذه الجزيرة التي نزلوها و توالدوا فيها على خمسة أقسام عند العرب في أشعارها وأخبارها :تهامة والحجاز ونجد والعروض واليمن..."[2]

شمل الاهتمام بالجزيرة العربية ؛ مهد الأدب القديم؛ في ثنايا النص الشعري القديم، مقوماته الأساسية التي أقام عليها بنيانه المرصوص، فبالإضافة إلى صور المرأة، والحيوان، والمطر، وما كان لهم من روابط، زادت في متانة نسج النص، فإن المكان وما شكله من ثوابت قاعدية، فرضت على الشعراء الانطلاق منه، ومقارعته.

[1] – André Miquel ,L'ISLAM et sa civilisation VIIe – XXe siècle , Paris , Armand Colin , 2eme édit., 1977, p 23.

[2] – ياقوت الحموي ؛ معجم البلدان ؛ تح إحسان عباس؛ دار صادر؛ بيروت؛ د ط ؛ 1977 ؛ مجلد 2 ؛ ص 137.

1- القرآن الكريم، سورة الشعراء.

قائمة المصادر والمراجع:

2- أحمد الشنقيطي، شرح المعلقات العشر وأخبار شعرائها، دار الأندلس للطباعة والنشر، ط3، 1980.

3- أبو البقاء الرندي الأندلسي، الديوان، تح: رفعت برهام حسن، القاهرة، ط1 ، د ت.

4- الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر، الحيوان، تح: عبد السلام محمد هارون، ج1، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، القاهرة، ط2، 1965

5- حسان بن ثابت، الديوان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2 ، 1994.

6- ابن خفاجة، الديوان، دار المعرفة، بيروت، ط1، 2006

7- زكريا صيام، دراسة في الشعر الجاهلي، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، ط2، 1993.

8- زروقي بن فطيمة، ليازيدي فاطيمة، مظاهر التجديد في الشعر الأندلسي، مطبوعات جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم – الجزائر.

9- شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي الأوّل، دار المعارف، القاهرة، ط12.

10- شوقي ضيف، التطور والتجديد في الشعر الأموي، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط 8، 1987.

11- شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، دار المعارف، القاهرة، ط24، 2003

12- عبد الحميد حسين حمودة، تاريخ العرب قبل الإسلام، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ط1، 2006.

13- عبد العزيز عتيق، الأدب الإسلامي والأموي، دار النهضة، لبنان، ط1، 2001..

14- عمر بن أبي ربيعة، الديوان، ، تقديم: فايز محمد، دارالكتاب العربي، بيروت، ط2، 1996

15- فتحي أحمد عامر، من قضايا التراث العربي دراسة نصية نقدية تحليلية مقارنة، منشأة المعارف، الاسكندرية، د ط

16- المتنبي، الديوان، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، د ط، 1983.

17- مصطفى السيوفي، تاريخ الأدب في صدر الإسلام، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية ، القاهرة، ط1، 2008.

18- مصطفى الشكعة، الأدب الأندلسي، موضوعاته وفنونه، ج1، دار العلم للملايين، تحقيق: احسان عباس، الناشر، دار صادر، بيروت، لبنان، 1968 .

19- ياقوت الحموي ؛ معجم البلدان ؛ تح إحسان عباس؛ دار صادر؛ بيروت؛ د ط ؛ 1977 ؛ مجلد 2 .

20- André Miquel ,L'ISLAM et sa civilisation VIIe - XXe siècle , Paris , Armand Colin , 2eme édit., 1977

المحاضرة الثانية

المعلقات مضامينها وأساليبها (نصوص من معلقة زهير بن أبي سلمى . معلقة امرئ القيس . معلقة عنترة)

محتوى المحاضرة:

- ✓ تعريف المعلقات لغة واصطلاحا
- ✓ سبب التسمية وتعددها
- ✓ عدد المعلقات
- ✓ شعراء المعلقات
- ✓ شعر المعلقات نماذج شعرية ومضامينها

لا مناص أنّ شعر المعلقات هو معدن الشّعر العربي ومخاض تقاليده الفنية والموضوعية، فهو انعكاس بما جادت به قريحة شاعر خلاق وفق أدبية ميزت هذه النصوص عن أخرى، ويبقى شعر المعلقات عمقه، لجًا يخفي الكثير من الأسرار، فرغم توالي الدراسات عليه، إلا أن محتواه يظل أرضًا خصبة، تعطي أكلها كلّ حين .فهو مازال منبعًا ومصدرً الإلهَام لغوي وفني لا انقطاع له، إذ خصّه الدارسون العَرَب والغربيون بقراءات متنوعة، أكّدت أنّ بواطنه ما زالت تشِعُّ " ومصدر غموضه ليس ألفاظه وتراكيبه، بل موضوعاته وأغراضه أو رموزه بعبارة أدق. ولذا فهو صالح –ككل شعر عظيم- لقراءات متعدّدة تفك رموزه ليبوح بثرائه الباهر."[1] وعلى هذا الأساس اعتبر شعراؤها أعمدة للشعر الجاهلي وما تلاه من عصور.

تعريف المعلقات:

لفظ المعلقات كان في الأصل يطلق على كل ما يعلق، وتكاد تنحصر الدلالات المختلفة التي جاء ذكرها في القاموس المحيط الكلمة في معنى عموم العلق بالشيء النفيس " وعلق الشيء بالشيء وبه نشِب فيه واستمسك به... والمعلقات: سبع قصائد لشعراء معروفين من شعراء الجاهلية "[2] ويتبدى ذلك بجلاء في معنى النفيس من كلّ شيء، وعلى صعيد آخر نجد المعنى الاصطلاحي للمعلّقات تغدو في قصائد منظومة مطولة من أجود ما قالته العرب في العصر الجاهلي، وقد احتلت مكانة كبيرة في نفوسهم واعتبرت مثلهم الجمالي الأعلى؛ لأنها أنموذج أرقى لما وصل إليه الشعر الجاهلي الذي بقي لقرون مثار إعجاب

[1]– وهب أحمد رومية، شعرنا القديم والنّقد الجديد، عالم المعرفة، الكويت، 1996، ص.6

[2] – إبراهيم أنيس وآخرون المعجم، الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط4، 2004، ص 622، 223.

الشعراء والنقاد فهي " من أجود الشّعر وأدقّه معنى وأوسعه خيالا وأبرعه أسلوبا وأسمعه لفظا وأعمقه معنى"[1] على أنّنا إذا جارينا المعنيين اللغوي والاصطلاحي نجد العلاقة واضحة بينهما، فهي قصائد نفيسة ذات قيمة كبيرة، بلغت الذّروة في اللغة، وفي الخيال والفكر، وفي نضج التجربة، وأصالة التعبير.

سبب التسمية:

تجدر الإشارة في هذا السياق إلى اختلاف النقاد حول سبب تسميتها، فسميت المعلقات بالمذهبات والسموط والمشهورات، والمشهورة والطوال والجاهليات، وسميت السبعيات نسبة إلى عدد أصحابها، وفي هذا الإطار فإنّ فتعدد التسميات لهذه القصائد التي سميت بالمعلقات لا يشكل خلافاً جوهرياً لأن أكثره أطلق على سبيل الإعجاب والإطراء، وكل التسميات في معناها العام تفيد الحرص والعناية والاهتمام بهذه القصائد، وضمن هذا الأفق نلفي فريقا سماها بالمعلقات لأنّ هذه القصائد الطوال تمّ تعليقها فعلا على ستار الكعبة، ويستندون برأيهم هذا بعادة العرب تعليق الأشياء الهامّة على الكعبة، ومن أشهر مؤيدي هذا الاتجاه ابن عبد ربه في كتابه العقد الفريد وابن خلدون في مقدّمته، والبغدادي في خزانة الأدب."[2] وخبر التعليق هذا قد ورد في عدد من المصادر القديمة والحديثة يقول ابن خلدون في هذا الشأن :"اعلم أن الشعر كان ديوانا للعرب، فيه علومهم وأخبارهم وحكمهم. وكان رؤساء العرب متنافسن فيه، وكانوا يقفون بسوق عكاظ لإنشاده وعرض

[1] – القرني، جمهرة أشعار العرب، دار المسيرة، بيروت، لبنان، د.ت، ص34، 35.

[2] – شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي في العصر الجاهلي، شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي في العصر الجاهلي، دار المعارف، القاهرة، ط24، 2003، ص230.

كل واحد منهم ديباجته على فحول الشأن وأهل البصر، لتمييز حوكه، حتى انتهوا إلى المناغاة في تعليق أشعارهم بأركان البيت الحرام، موضع حجهم، وبيت أبيهم إبراهيم؛ كما فعل امرؤ القيس بن حجر، والنابغة الذبياني، وزهير بن أبي سلمى، وعنترة بن شداد، وطرفة بن العبد وعلقمة بن عبدة، والأعشى وغيرهم من أصحاب المعلقات السبع. فإنه كان يتوصل إلى تعليق الشعر بها، " للشعراء الذين تفتقت مواهبهم بأشعار سخّروها للتعبير عن حياتهم الذاتية بما فيها من مسرات ومتع ونعيم ولهو وصيد ومعاقرة للخمر ومطاردة للنساء، ومفاخر وآمال وطيب وأنساب، ولمدح من يحبون وهجاء من يكرهون" [1] وقد اختلف الباحثون كذلك حول أمر تعليقها، ولا مناص أن التعليق الحسي لهذه القصائد لا ينفي التعليق المعنوي خصوصاً بعد الذي عرفناه من أهمية الشعر عند العرب وولوعهم الشديد به، فالتعليق قد يكون مرتبطاً بالإجادة والاستحسان، وما المانع من ذلك وقد يكون الغرض من ذلك يكون الغرض من ذلك تيسير الاطلاع عليها لصعوبة الكتابة وأدواتها في ذلك الحين . والتعليق مشهور لدى العرب فقد كانوا يعلقون مواثيقهم وعهودهم في الكعبة حرصاً عليها وتعظيماً لها.

وعلى صعيد آخر سميت بالمذهبات لأنّ العرب استحسنتها وكتبوها بماء الذهب وعلقوها على الكعبة ، وهذا ما ذهب إليه ابن رشيق القيرواني في عمدته في قوله:" وكانت المعلقات تسمى المذهبات، وذلك لأنها اختيرت من سائر الشعر، فكتبت في القباطي بماء الذهب وعلقت على أستار الكعبة."[2] وقريباً من ذلك ذهب صاحب العقد الفريد عندما تحدث عن الشعر فقال " لقد بلغ من كلف العرب به، وتفضيلها له، أن عمدت إلى سبع

[1] – زكريا صيام، دراسة في الشعر الجاهلي، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، ط2، 1993، ص138.

[2] – ابن رشيق، العمدة ، ج1، دار الجيل، بيروت، د.ت، ج1، 73.

قصائد تخيرتها من الشعر القديم فكتبتها بماء الذهب في القباطي المدرجة، وعلقتها بين أستار الكعبة؛ فمنه يقال مذَهبة امرئ القيس، ومذَهبة زهير، والمذهبات السبع، وقد يقال لها المعلقات." [1]

السموط: السمط عندهم الخيط الذي يجمع حبات العقد بعضها إلى بعض، وهو أيضاً القلادة والأمر في التسمية قائم على التشبيه، ومن الذين قالوا بذلك صاحب الجمهرة إذ يقول "وهذه الطبقة الأولى، وهي السموط، وهي سبع من تسع وأربعين قصيدة، أولها لامرئ القيس بن حجر بن عمرو بن الحارث" [2] وكذلك فعل السيوطي في مزهره،[3] ومن الواضح أن هذه التسميات هي نتيجة شعورية لعلاقة قراء الشعر القديم، وهذا ما دفع إلى توكيد انعدام السبب العلمي الذي أوجد هذه التسميات مجتمعة [4]

عدد المعلقات:

لقد قسم العرب أصحاب المعلقات طبقات، أولاها ثلاثة شعراء هم أولا امرئ القيس، وزهير، ولبيد، وثانيها أربعة شعراء هم: عنترة والنابغة والأعشى وعمرو بن كلثوم،

[1] – أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج6 ، تح: عبد المجيد الترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1983، ص118.

[2] – أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي، جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام، تح: علي محمد البجاوي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، د ط، د ت، ص 113

[3] – جلال الدين سيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ج1، تح: علي محمد البجاوي، مطبعة الحلبي، 1958، ص297

[4] – عفت الشرقاوي، دروس ونصوص في قضايا الأدب الجاهلي، دار النهضة العربية، بيروت، 1979، ص183.

والطائفة الثالثة تتكون من شاعرين هما: طرفة والحارث بن حلزة، ثم أضيف إلى هذه الطوائف شاعر هو عبيد بن الأبرص ليكتمل العدد عشرة [1]

وفي ذات السياق اختلف الرواة في عدد المعلقات وأصحابها، فأبو زيد القرشي صاحب جمهرة أشعار العرب يجعلهم ثمانية، وهم امرؤ القيس، وزهير، والنابغة، والأعشى، ولبيد، وعمرو بن كلثوم، وطرفة بن العبد، وعنترة.

أما الزوزني الذي شرح المعلقات فقد جعلها سبعا ليس بين أصحابها النابغة ولا الأعشى، وأضاف الحارث بن حلزة. ومن جهة أخرى نجد ابن خلدون يجعلها سبعا، وهي وإن ارتبطت بتنافس الشعراء في عكاظ إلا أن تعليقها حددته منزلة الشاعر ومنزلة قبيلته في مضر، وبذلك فهو يرجع التعليق إلى أسباب خارجة عن النص، الأساس فيه حسب رأيه العصبية. واللافت للنظر إيراد "علقمة الفحل" الذي لم يكن من أصحاب المعلقات في معرض حديثه عن المعلقات وأصحابها. وكلمة ابن خلدون تؤكد سمو المنزلة التي كانت للشاعر في العصر الجاهلي قبل أن يتحول إلى مادح متكسب، فقد كان أسمى درجة من الخطيب[2]

إن لهذا الاختلاف في العدد والرتبة علاقة بالاختلاف في الحكم النقدي الذي يرفع نصا ويخفض آخر ويقدم شاعرا ويؤخر غيره، كما كان للعصبية القبلية دورها في الإعلان عن أشعر شعراء العرب، إذ الشاعر مفخرة العرب، وبالرغم من كل ذلك فإن معلقة امرئ القيس

---

[1] – André Miquel, La littérature Arabe, 1ere édition, presses universitaires de France, Paris 1969, pp24, 25

[2] – يقول الجاحظ كان الشاعر أرفع قدراً من الخطيب، وهم إليه أحوج، لرده مآثرهم عليهم وتذكيرهم بأيامهم،" البيان والتبيين"، تح: عبد السلام محمد هارون ، القاهرة ،1975، ص83.

تتصدر المعلقات عند من ذكروها ودرسوها، كما أنها الأولى لدى الدارسين المختصين في نقد الشعر قدماءهم ومحدثوهم .

شعراء المعلقات:

1- إمرؤ القيس:

لا غرو أنّ النقاد والأدباء والمؤرخون لا يختلفون بزعامة امرئ القيس للشعراء الجاهليين، وأشرهم بلا منازع، وأشرفهم أصلا وأرفعهم منزلة، وله فضل السبق في بناء القصيدة الجاهلية؛ إذ أنّه أوّل من وقف واستوقف وبكى واستبكى، " امرؤ القيس بن حجر ...ابن الحارث بن عمر بن حجر آكل المرار بن معاوية بن الحارث بن يعرب، وهو من قبيلة كندة التي سكنت اليمن، وأمّه فاطمة بنت المهلهل وكليب بن ربيعة بن الحارث التغلبي، أمّا اسمه فيقال أنّه حندج بن حجر، إلاّ أنّه اشتهر باسم امرئ القيس نسبة إلى شدّته وشجاعته، وقد لقّب بالملك الضليل[1] يتميز شعره بقدرته على ابتكار المعاني والتعبير عنها بطرق لم يسبقه أحد إليها فقد أبدع وأجاد في شعر الغزل وشعر الوصف.

معلقة امرئ القيس ومضامينها:

لا مناص أنّ معلقة امرئ القيس تتصدر المعلقات عند من ذكروها ودرسوها، كما أنها الأولى لدى الدارسين المختصين في نقد الشعر قدامى ومحدث، تتكون معلقة امرئ القيس من اثنان وثمانون بيتا وقد جمعت مواضيع متعدّدة نرصدها كالآتي:

1- الوقوف على الطلل: حظي الطلل بالعناية والإلهام ما لم يحظ غيره من الأمكنة في الشعر الجاهلي، وإن كان قد استفتح به الشعراء الجاهليون

[1]– عبد الله الحسين بن أحمد الزوزني، شرح المعلقات السبع، الدار العالمية، بيروت، لبنان، د ط، 1992، ص12.

قصائدهم ومعلقاتهم، زد على ذلك تذكر مرابع الحبيبة، يقول امرؤ القيس[1]:

1- قِفا نَبْكِ مِنْ ذِكْرى حَبيبٍ ومَنزِلِ بِسِقْط اللِّوى بينَ الدَّخُولِ فَحَومِلِ

2- فَتُوضحَ فالمقْراةِ لم يَعـــفُ رَسْمُها لما نَسَجتْها مِنْ جَـــنوبٍ وشَمْأَلِ

3- تَرى بَعـــرَ الآرامِ فِي عَرصَـــاتِها وقِيـــــعَانِها كَأنَّه حـــبُّ فَلفُلِ

4- كَأنِّي غَداةَ البَينِ يَوم تَحـــــمّلُوا لدى سُمـــراتِ الحَيِّ ناقفٌ حنظلِ

5- وقُوفًا بها صَحْبي عليّ مطـــيَّهم يَقُولون لا تَهْـــــلك أسى وتجمَّلِ

6- وإنَّ شِفَـــائِي عبـــــرة مُهْـراقَة فهل عند رسْـــمِ دارسٍ من معوّلِ

7- كَدأبكَ من أمِّ الحُـــويرثِ قَبلهَا وجَـــارتها أمِّ الرَّبابِ بمـــَـــأسلِ

8- إذا قَامتَا تضَوّعَ المِســـــكُ منهُما نَسيْـــم الصّبا جاءت بريَّا القَرنفُلِ

9- ففَاضتْ دُموعُ العينِ منّي صـــبَابةً على النّـحرِ حتى بلَّ دمعِي محْملِي

فخطاب الشّاعر في مقدّمته الطللية فيه تحدٍ في صراعه الأزلي مع كينونة الزمن ،حيث يعتبر أنّ الحديث عن الطلل بقاء في دائرة الوجود نفي للموت الذّي أرخى سدوله على يوميات الشّاعر وحرّك فيه أناة الانعتاق من عبوديته، فولّى وجهه عن الفراق المرسوم في وشم الطلل، وانتقل يبحث عن طرق وتوجيهات تعيد له البسمة والأمل في خوض غمار حياة جديدة لجأ الشاعر إلى تحديد أطر المكان بتوظيفه لمجموعة من الأماكن منها (سقط اللوى،

[1] – أحمد الشنقيطي، شرح المعلقات العشر وأخبار شعرائها، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، ط3، 1980، ص75،76،77

بين الدخول فحومل، فتوضح فالمقراة) ،ونعتقد أنّ هذا التحديد يهدف إلى إعطاء المكان شرعيته وواقعيته، ليخرج من دائرة الخوف والقلق التّي تجلت من خلال بكائه.

2-ذكرى الحبيبة: الحالة الأهمّ و المرحلة المثلى في هذا الوقت بالذات هو عدم الاستسلام لهذا الهدم ومواجهته إلى حين التغلب عليه و التخلص من أبدية الهزيمة التي ظلّ يبعثها الطلل الذي لم يزده إلا احتراقا ،وشوقا وأنينا ،بعد أن صادر المكان الماضي و أسره و صار يتحكم فيه فانقاد الشاعر يدقّ أبوابه ليسترد منه جزءا مما امتلكه من هذا الماضي يقول: [1]

10- ألا ربّ يوم لك منـــهن صالح ولا سيّـــــــما بدارة جلـجل

11- ويوم عقرت للعـــــذارى مطيّتي فيا عجبا من كورها المتـــحمّل

12- فظلّ العذارى يرتمـــــين بلحمها وشحمٍ كهدّاب الدّمـقس المفتّل

13- ويوم دخلت الخدر خـــدر عنيزة فقالت لك الويلات إنّك مرجلي

14- تقول وقد مال الغبيـــط بنا معا عقرت بعيري يا امرأ القيس فانزل

15- فقلت لها سيري وأرخـــــي زمامه ولا تبعديني عن جنـــــاك المعلّل

16- فمثلك حبلى قد طرقت ومرضع فألهيـــــــتها عن ذي تمائم محول

17- إذا بكى من خلفها انصـرفت له بشق وتحـــــتي شقّـــها لم يحوّل

18- ويوماً على ظهر الكثيب تعذّرت عليّ وآلت حلفـــــــــةً لمْ تحلّل

[1]– أحمد الشنقيطي، شرح المعلقات العشر أخبار شعرائها، ص77، 78، 79، 80، 81.

19- أفاطم مهلا بعض هذا التـــدلّل وإنْ كنت قد أزمعت صرمي فاجملي

20- وإن تك قد ساءتك منّي خليقة فسلّي ثيابي من ثيابـــــك تنسل

21- أغرّك منّي أنّ حبّـــــك قاتلي وأنّك مهـــما تأمري القلب يفعل

22- وما ذرفت عيناك إلا لتـــضربي بسهمك في أعشـــار قلب مقتّل

23- وبيضة خدر لا يرام خبـــاؤها تمتّعت من لهو بها غـــير معجّل

24- تجاوزت إليها أحراسا ومعــشرا عليّ حراسا لو يســـرون مقتلي

25- إذا ما الثريا في السماء تعرّضت تعرّض أثناء الوشـــاح المفصّل

26- فجئت وقد نضّت لنــوم ثيابها لدى الســـتر إلا لبسة المتفضّل

27- فقالت يمين الله مالك حيـــلة وما إنْ أرى عنك الغواية تنــجلي

28- خرجت بها تمـــشي تجرّ وراءنا على أثرينا ذيـــــل مرطٍ مرحّل

29- فلما أجزنا ساحة الحيّ وانتحى بنا بطن خبتٍ ذي حقاف عتنقل

30- هصرت بفودي رأسها فتمايلت عليّ هضيم الكشح ريّا المخـلخل

إنّها محاولة تخطي ذلك القلق الذي طغى على حياته في فقدان محبوبته، في مشهد حاول الشاعر استذكار أيام الأنس التي قضاها مع محبوبته.

3-وصف المرأة: يواصل الشاعر تغزله بمحبوبته وذلك من خلال أوصاف في صور واضحة، كانت في أغلبها وصفا للجمال الخارجي المادي ويتجلى ذلك في قوله:[1]

31- مهفهفة بيضاء غير مفـــــاضة ترائبها مصقولة كالســـــجنجل

32- كبكر المقاناة البياض بصـــــفرة غذاها نمير الماء غـــــــير المحلّل

33- تصدّ وتبدي عن أسيـــــلٍ وتتّقي بناظرةٍ من وحـــش وجرة مطفل

34- وجيدٍ كجيد الرِّئم لـــيس بفاحش إذا هـــــي نصّـــته ولا بمعطّل

35- وفرع يزين المتن أســـــود فاحم أثيثٍ كقنو النّـــــخلة المتعثكل

36- غدائره مستشـــــــزرات إلى العلا تضلّ العقـــاص في مثنّى ومرسل

37- وكشحٍ لطيفٍ كالجـــــديل مخصّر وساقٍ كأنبوب السّـــقيِّ المذلّل

38- وتضحي فتيت المسك فوق فراشها نئوم الضّحى لم تنتطق عن تفضّل

39- وتعـــــطو برخصٍ غير شثنٍ كأنّه أساريع ظبي أو مساويك إســحل

40- تضيء الظّـــــلام بالعشاء كأنّها منارة ممـــــــسى راهب متبـتّل

41- إلى مثــلها يرنو الحـــــليم صبابة إذا ما استبـكرت بين درع ومجول

42- تسلّت عمــايات الرجال عن الصبا وليس فؤادي عن هـــواك بمنسل

43- ألا رب خصـــمٍ فيك ألوى رددته نصيحٍ على تعـــــذاله غير مؤتل

[1]– أحمد الشنقيطي، المعلقات العشر وأخبار شعرائها، ص83، 84، 85.

هكذا إذن، يعيش الوعي الشعري من خلال استرجاع الذكريات التي يكتنفها الكثير من الولع والهيام.

4- **وصف اللّيل**: لقد أفضت علاقة الإنسان بالمكان إلى تحرير أحاسيس لا حدود لها، فأطبق ذلك على ذاته أبعادا نفسية و اجتماعية، عبر دورة الحياة التي رسمها الشاعر الجاهلي في عامل الزمن من خلال تمنيه جلاء الليل بغية مواصلة مغامراته؛ لأنّ الليل يشكل فيض الماضي المدجج بالآلام ويتجلى ذلك في قوله:[1]

44- وليل كموج البحر أرخى سدوله عليّ بأنواع الهموم ليبـــــتلي

45- فقلـت له لمـــّـا تمطى بصـلبه وأردف أعجازا وناء بكلـــكل

46- ألا أيها اللّيل الطـــويل ألا انجل بصبحٍ وما الإصباح منك بأمثل

47- فيا لك من ليـــل كأنّ نجـومه بكل مغار الفتل شدّت بيـذبل

48- كأنّ الثريا علّـقت في مصامها بأمراس كتّان إلى صمّ جنـــدل

يتذمّر الشّاعر من اللّيل الّذي خطف منه صور النّشاط وما خلّفه من انكسار لذاته المتقلّبة بين البحث عن هويّتها وسط تراكمات وضغوطات نفسية.

5- **وصف الرحلة والمغامرات والبطولات**: طفق الشّاعر يضرب يميناً و شمالاً على الأرض التي يعتبره امتدادا لعواطفه وكينونته وخوفا من التشظّي وانشطارية الذّات، وسط كومة من المشكلات الكبرى الّتي عانها:[2]

[1]– أحمد الشنقيطي، شرح المعلقات العشر وأخبار شعرائها، ص 85، 86.

[2]– المرجع نفسه، ص 86، 87، 88، 89، 90.

49- وقربة أقوامٍ جعلت عصامها على كاهلٍ منّي ذلولٍ مرحّل

50- ووادٍ كجوف العير قفرٍ قطعته به الذئب يعوي كالخليع المعيّل

51- فقلت له لمّا عوى إنّ شأننا قليل الغنى إنْ كنت لمّا تموّل

52- كلانا إذا ما نال شيئا أفاته ومن يحترث حرثي وحرثك يهزل

53- وقد أغتدي والطير في وكناتها بمنجرد قيدٍ الأوابد هيكل

54- مكرٍّ مفرٍّ مقبلٍ مدبرٍ معاً كجلمود صخرٍ حطّه السيل من عل

55- كميتٍ يزلّ اللّبد عن حال متنه كما زلّت الصّفواء بالمتنزّل

56- على الذّبل جيّاشٍ كأنّ اهتزامه إذا جاش فيه غلي مرجل

57- مسحٍّ إذا ما السابحات على الونى أثرن الغبار بالكديد المركّل

58- يزلّ الغلام الخف عن صهواته ويلوي بأثواب العنيف المثقّل

59- درير كخذروف الوليد أمرّه تتابع كفّيه بخيطٍ موصّل

60- له أيطلا ظبيٍ وساقا نعامةٍ وإرخاء سرحانٍ وتقريب تتفل

61- ضليعٍ إذا استدبرته سدّ فرجه بضافٍ فويق الأرض ليس بأعزل

62- كأنّ على المتنين منه إذا انتحى مداك عروسٍ أو صلاية حنظل

63- كأنّ دماء الهاديات بنحره عصارة حنّاءٍ بشيب مرجّل

64- فعنّ لنا سربٌ كأنّ نعاجه عذارى دوارٍ في ملاءٍ مذيّلِ

65- فأدبرن كالجزع المفـــــصّل بينه بجيدٍ معـــمٍّ في العشـــيرة مخول

66- فألحقنا بالهـــــــــاديات ودونه جواحـــرها في صـــرّة لم تزّيل

67- فعادى عداءً بين ثورٍ ونـــــعجةٍ دراكاً ولم ينـــضح بماءٍ فيغسل

68- فظلّ طهاة اللّحم من بين منضج صفـــيف شواءٍ أو قديرٍ معجّل

69- ورحنا يكاد الطّرف يقـصر دونه متى ما ترقّ العـــين فيه تسفّل

70- فبات عليـــــــه سرجه ولجـامه وبات بعيني قائـــــماً غير مرسل.

ومع ما تمّ الوقوف عليه سابقا من دحض انشطارية الذات، نلفي أنّ الشاعر وجد خير أنيس في رحلته وهو الحيوان؛ إذ تقوم العلاقة بين الحيوان والأدب الجاهلي على أساس من المقابلة و التوازي، فالحيوان الذي جاء ذكره في الشعر الجاهلي لا يمثل مادة موصوفة بل هو من بين مدارات الشعر الأساسية؛ ليس كل الحيوان بل حيوانات أساسية، مرتبطة بمقومات الحياة و البقاء في هذه الصحراء.

6- وصف الطبيعة:

يتوغلّ الشاعربعدئذٍ بوصف الطبيعة وجدانيا بغية القيام بعملية الموازنة بين عالمه الدّاخلي و حاضره الغالب عليه سمة التّحول؛ لأنّ الطبيعة تمثّل مرجعاً دلالياً و زمانياً و نفسيّاً، حيث تداعت في الأبيات الأخيرة من القصيدة أوصاف جمّة للطبيعة انطلقت من البرق و أماكن الخصب و الماء إلى النخيل و أماكن الجدب كالصّحراء في قوله:[1]

71- أصاح ترى برقاً أُريك وميـضه كلمع اليـــــدين في حبيٍّ مكلّل

[1]- أحمد الشنقيطي، شرح المعلقات العشر وأخبار شعرائها، ص 90، 91، 92، 93.

72- يضيء سناه أو مصابيح راهبٍ أمال السّليـــــط بالذّبال المفتّل

73- قعدت له وصحبتي بين ضارج وبين العذيـــــب بعد ما متأمّلي

74- على قطنٍ بالشّيم أيمن صـــوبه وأيسره على السّـــــــتار فيذبل

75- فأضحى يسحّ الماء حول كتفيه يكبّ على الأذقان دوح الكنهبل

76- ومرّ على القنان من نفـــيانه فأنزل منه العصـــم من كلّ منزل

77- وتيماء لم يترك بها جـذع نخلةٍ ولا أطماً إلاّ مشـــــــيداً بجندل

78- كأنّ ثبـــــيراً في عرانين وبله كبـــــــــير أناسٍ في بجاد مزمّل

79- كأنّ ذرى رأس المجيـمر غـدوة من السّـــــيل والغثّاء فلكة مغزل

80- وألقى بصحراء الغبـيط بعاعه نزول اليـــماني ذي العياب المحمّل

81- كأنّ مكاكيّ الجـــواء غديّةً صبحن سلافاً من رحـــيقٍ مفلفل

82- كأنّ السّباع فيه غرقى عشـيّةً بأرجائه القصـــوى أنابيش عنصل.

و لعلّ اللّجوء إلى استخدام وصف الطبيعة إيذاناً بامتلاكه لها وخروجا عن الضياع والاغتراب الّذي أصابه (في بداية القصيدة) فهو يأمل أن يتغيّر الواقع بمجرّد بروز ضوء الفجر الّذي ينتظر منه أن يحمل الجديد عن محبوبته عبر هذه الأماكن الطبيعية.

❖ **معلقة طرفة بن العبد:** " هو طرفة بن العبد بن سفيان بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة ابن عكابة بن مصعب بن علي بن بكر بن وائل – وطرفة –

بالتحريك في الأصل واحد الطرفاء وهو الأثل وبها لقب طرفة واسمه عمرو، وهو أشعر الشعراء بعد امرئ القيس، ومرتبته ثاني مرتبة."[1]

مضامين معلقة طرفة بن العبد:

لا غرو أنّ معلقة طرفة بن العبد عدّت من أهمّ المعلقات الشعرية التي خاضت غمار هذا المعترك الشعري الجاهلي، وقد اندسّت في القصيدة مخاضات تمثلت في تجربة الشاعر الشخصية التي تمثل خلاصة تجربته في الحياة ونظرته الثاقبة من المواقف والتجربة الشعرية التي خاضها، وفي هذا الإطار، نلفي أنّ مضامين القصيدة تدور فحواها في: الوقوف على الطلل، وصف ناقته، الافتخار بالنفس، والاشادة بالفروسية واقتحام المعارك، ضمنها الشاعر في قصيدة مطولة بلغت 105 بيتاً، وفي هذا السياق سنشير في إطلالة خاطفة عن الأبيات التي احتوت ما تمّ ذكره من مضامين.

1- **الوقوف على الطلل:** إنّ وصف المرأة /والوقوف الطّلل مقدّمة تختزل في بواطنها أحداثا تجمع بين السّعادة /الثّبور، الألم/اللّذة، عناصر تكاد تنطوي على رهانات دلالية، دفعت الشّاعر إلى الوقوف على الأطلال ويتجلى ذلك في الأبيات العشرة الأولى من المعلقة:[2]

- لخولة أطلال ببرقة ثهمد تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد

إلى غاية البيت 10 من قوله:

[1] – أحمد الشنقيطي، شرح المعلقات العشر وأخبار شعرائها ، ص19.

[2] – المرجع نفسه ، ص 94، 95، 96.

- ووجهٍ كأنّ الشمس ألقت رداءها عليه نقيّ اللون لم يتخدّد

2- **وصف ناقته:** احتلت الناقة مكانة بارزة في نفسية الشاعر؛ ففي ترحالها تحول من موقف اليأس والحزن على فراق الأحبة، إلى أفق الصحراء الواسع، فراعى في وصفه سمات النعومة ورشاقة المظهر، السرعة وقلة استهلاكها للغذاء، وجلدها وسرعة عدوها في قوله:[1]

- وإنّي لأمضي الهمّ عند احتضاره بعوجاء مرقالٍ تروح وتغتدي.

إلى غاية البيت 40 من قوله:

- على مثلها أمضي إذا قال صاحبي ألا ليتني أفديك منها وأفتدي.

3- **الافتخار بالنفس:** بعد أنْ خصص طرفة بن العبد فضاء لوصفه ناقته، نجده يفتخر بنفسه محاولا إعلاء مكانتها، مسقطا صفات الفتوة والبطولة بذاته، مع إبراز مكانته في قبيلته، ونلمس ذلك ابتداء من البيت 42 من قوله:[2]

- إذا القوم قالوا من فتى خلت أنّني عنيت فلم أكسل ولم أتبلّد.

إلى غاية البيت 83 من قوله:

- فأصبحت ذا مالٍ كثيرٍ وزارني بنون كرام سادة لمسوّد.

[1] – أحمد الشنقيطي، شرح المعلقات العشر وأخبار شعرائها ، ص96، 100.

[2] – المرجع نفسه ، ص 100، 107.

4- **الإشادة بالفروسية واقتحام المعارك:** يشيد الشاعر بفروسيته وشجاعته في خوضه للمعارك وتفانيه في الدفاع عن قبيلته، وعدم خوفه من المنية، ونرصد ذلك في البيت 84 إلى غاية نهاية القصيدة بقوله:[1]

- أنا الرجل الضرب الذي تعرفونه خشاشٌ كرأس الحيّة المتوقّد.

❖ **معلقة زهير بن أبي سلمى:** " هو زهير بن أبي سلمى ربيعة بن رباح المزني من مزينة بن أدّ بن إلياس بن مضر وسلمى بضمّ السين وليس للعرب سلمى بضم السين غيره...وهو أحد الشعراء الثلاثة المتقدّمين على الشعراء بالاتفاق...وروي أن زهيرا كان ينظم القصيدة في شهر وينقّحها ويهذّبها في سنة ثمّ يعرضها على خواصه ثمّ يذيعها بعد ذلك، وكانت تسمى قصائده الحوليات."[2]

مضامين معلقة زهير بن أبي سلمى: إنّ معلقة زهير أحد أشهر قصائد المعلّقات، وقد اختصت معلقته في الإشادة بالصلح والسلام لما أعجب به من فعل السيدين من قبيلتي عبس وذبيان للإصلاح بين القبيلتين المتنازعتين، فمدحهما في معلقته وتغنى بفعلهما، تتكون المعلقة من 64 بيتا، وفي هذا الإطار، نلفي أنّ مضامين القصيدة تدور فحواها في: الوقوف على الأطلال، في الأظعان، مدح السيدين (المصلحين)، مخاطبة المتحاربين، حكم وخلاصة تجاربه وحنكته في الحياة، وبناء على هذا سنعاين الأبيات التي تضمنت هذه المضامين:

[1] – أحمد الشنقيطي، المعلقات العشر وأخبار شعرائها، ص 108، 111.

[2] – المرجع نفسه، ص21، 22.

1- **الوقوف على الأطلال**: يبدأ شاعرنا بالمقدمة الطللية كما جارت عليه نواميس العادة ممن سبقوه؛ وذلك بوصف الدمن والرسوم التي تغيرت إلى درجة أنه تذكرها بعد عناء، ونرصد ذلك في الأبيات 6 الأولى من القصيدة بقوله:[1]

- أمن أمّ أوفى دمنة لم تكلّم بحـــــــــومانة الدّرّاج فالمتثلّم

إلى غاية البيت 6 من قوله:

- فلمّا عرفت الدّار قلت لربعها ألا انعم صباحا أيّها الرّبع واسلم.

2- **في تذكر الأظعان**: يرجع بنا الشاعر عبر تقنية السرد الاستذكاري من خلال استرجاعه لساعة الفراق والطريق التي سلكت في الظعن، زد على ذلك الأمتعة التي كانت تحمله الهوادج وذلك ابتداء من البيت 7 إلى غاية البيت 15 بقوله:[2]

- تبصّر خليلي هل ترى من ظعائنٍ تحملن بالعلياء من فوق جرثم

إلى غاية قوله:

- فلمّا وردن الماء زرقا جـــــمامه وضعن عصيّ الحاضر المتخيّم

3- **مدح السيدين (المصلحين)**: ممّا لا شك فيه أنّ الغرض الرئيس الذي نظمت من أجله القصيدة هو مدح السيدين: الهرم بن سنان والحرث بن عوف؛ الذين أصلحا بين القبيلتين ودفعا ديات القتلى من مالهما الخاص، فإعجابا بهما تغنّى

[1]- أحمد الشنقيطي، شرح المعلقات العشر وأخبار شعرائها، ص 112، 113.

[2]- المرجع نفسه، ص113، 114

الشاعر بهذا الصنيع الذي حقن الدماء؛ إذ نرصد ذلك ابتداء من البيت 16 إلى غاية البيت 25 بقوله:[1]

- سعى ساعيا غيظ بن مرة بعدما تبزّل ما بين العشيرة بالدم

إلى غاية قوله:

- فأصبح يجري فيهم من تلادكم مغانم شتّى من إفالٍ مزنّم

4- مخاطبة المتحاربين: يذكر الشاعر الأحلاف بالقسم والعهد الذي أخذوه على أنفسهم بإبرام حبل الصلح، ويحذرهم من نقضهم العهد، ويتجلى ذلك ابتداء من البيت26 إلى غاية البيت 46 بقوله:[2]

- ألا أبلغ الأحلاف عنّي رسالة وذبيان هل أقسمتم كلّ مقسم

إلى غاية قوله:

- كراما فلا ذو الضعن يدرك تبله ولا الجارم الجاني عليهم بمسلم

5- حكم وخلاصة تجاربه وحنكته: وفي خاتمة المعلقة انتقل الشاعر إلى مجال النصح والتوجيّه، وتغليب مبدأ الحكمة للعيش بسلام، هي حكم مترجمة لمذهبه في الحياة بقوله:

- سئمت تكاليف الحياة ومن يعش ثمانين حولا لا أبا لك يسأم.[3]

[1] – أحمد الشنقيطي، المرجع السابق، ص114، 116.

[2] – المرجع نفسه، ص 116، .120

[3] – المرجع نفسه، ص.120

❖ **معلقة لبيد بن ربيعة:** " لبيد بن ربيعة بن عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة...يقال لأبيه ربيعة المقترن بجوده...وهو معدود من الشعراء المجيدين والفرسان المشهورين ومن المعمرين وعدّه ابن سلام من شعراء الطبقة الثالثة."[1]

مضامين معلقة لبيد بن ربيعة: تتكون المعلقة من 64 بيتا، وفي هذا الإطار، نلفي أنّ مضامين القصيدة تدور فحواها في: المقدمة الطللية، وصف الحبيبة وتباريح البين، الافتخار بالنفس، الافتخار بالقبيلة.

1- المقدمة الطللية: يستهلّ الشاعر قصيدته بذكر آثار ديار الحبيبة هذا الذكر الذي ألفيناه في مطالع المعلقات، بيد أنّه يمزج هذه المشاعر بوصف الخمرة وآثارها؛ إذْ نرصد ذلك من البيت 1 إلى غاية البيت 11 بقوله:[2]

- عفت الدّيار محلّها فمقامها بمنى تأبد غولها فرجامها

إلى غاية قوله:

- عريت وكان بها الجميع فأبكروا منها وغودر نؤيها وثمامها

2- رحلة الحبيبة وتباريح البين:

[1] – أحمد الشنقيطي، المرجع السابق، ص30، 31.

[2] – المرجع نفسه، ص123، 124.

يصور الشاعر ذكريات رحلة الحبيبة وهو يكابد ويتجرع غصص هذا الفراق، ونعاين ذلك بدءً من البيت 12 إلى غاية البيت 21 بقوله:[1]

- شاقتك ظعن الحيّ حين تحمّلوا فتكنّسوا قطنا تصر خيامها

إلى غاية قوله:

- واحب المحامل بالجزيل وصرمه باقٍ إذا ظلعت وزاغ قوامها.

5- **الافتخار بالنفس:** نجده يفتخر بنفسه محاولا إعلاء مكانتها، مسقطا صفات الفتوة والبطولة بذاته، مع إبراز مكانته في قبيلته، ونلمس ذلك في قوله 63:

- ولقد حميت الحيّ تحمل شكَّتِي فرطٌ وشاحي إذْ غدوتُ لجامها.

6- **الافتخار بالقبيلة:** يختتم الشاعر قصيدته مفتخرا بمآثر قومه وفضائلهم، وبانتمائه لهم ويتجلى ذلك ابتداءً من البيت 81:

- من معشرٍ سنّت لهم آباؤهم ولكلِّ قومٍ سنّةٌ وإمامها

❖ **معلقة عمرو بن كلثوم التغلبي:** " هو عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتاب بن سعد بن زهير بن بكر...كان شاعرا فارسا، وهو أحد فتاك العرب... فلما فتك بعمرو بن هند، قال معلّقته، وخطب بها في سوق عكاظ وفي موسم مكة، وبنو تغلب يعظمونها جدا ويرويها صغارهم وكبارهم."[2]

[1]– أحمد الشنقيطي، المرجع السابق ص 125، 126.

[2]– المرجع نفسه، ص40، 41، 42.

مضامين معلقة عمرو بن كلثوم: تعدّ معلقته مفخرة من مفاخر العرب التي نظمها للدفاع عن قومه، بلغ عدد أبياتها 106 بيتاً، تعدّدت مضامينها على النحو التالي:

1-الوقوف على الطلل: استهل الشاعر بمقدمة طللية ممزوجة بذكر الخمرة، نعاين ذلك بدءً من البيت 1إلى غاية البيت: 10 في قوله:[1]

- ألاّ هبّي بصحنك فاصبحينا ولا تبقي خمور الأنـــدرينا

2-**وصف المحبوبة:** يصف محبوبته وذكر أنّ الفراق قد أثار صبابته، نلمس ذلك في قوله:

- تريك إذا دخلت على خلاءٍ وقد أمنت عيون الكاشحينا

3- **لوم وعتاب:** يلوم الشاعر عمرو بن هند لاستماعه كلام الوشاة، وازدرائه لبني تغلب في قوله:

- بأيّ مشيئة عمرو بن هند نكون لقيلكم فيها قطينا[2]

4- **تهديد ووعيد:** يختتم الشاعر القصيدة بتهديده لبني بكر، وينقص من قيمتهم، وفي مقابل ذلك يصف شجاعة بني تغلب في اقتحام الحروب في قوله:

- وقد علم القبائل من معدّ إذا قبب بأبطاحها بنينا
- بأنّا المطعمون إذا قدرن وأنّا المهلكون إذا ابتلينا[3]

[1]- أحمد الشنقيطي، شرح المعلقات العشر وأخبار شعرائها، ص .137

[2]- المرجع نفسه، ص.144

[3]- المرجع نفسه، ص.151

❖ **معلقة عنترة بن شداد العبسي:** يعدّ عنترة من شعراء العرب وفرسانها في العصر الجاهلي "هو عنترة بن شداد بن معاوية بن قراد، أبوه من عبس، وأمع حبشية، كان من أشد الناس بأسا، وشجاعته أشهر من نار على علم...وكانت العرب تسمي معلقته المذهبة لحسنها،"[1] اشتهر بحبه العفيف الذي ظهر في شعره لعبلة بن عمه، تتكون معلقته من 84 بيتا.

مضامين معلقة عنترة بن شداد: نظم عنترة معلقته بسبب تهكم الناس وسخريتهم منه بسواده وأنّه منبوذ في قبيلته، احتوت المعلقة على المضامين التالية:

1- الوقوف على الأطلال: نلمس ذلك في قوله:

- هل غادر الشعراء من متردّم أمْ هل عرفت الدّار بعد توهّم[2]

2- مخاطبة الحبيبة: ويتجلى ذلك في قوله:

- ولقد نزلت فلا تظني غيره منّي بمنـــــزلة المحب المكرم[3]

3- وصف الناقة: يصف قوة الناقة وسرعتها بقوله:

- هل تبلغي دارها شدنية لعنت بمحروم الشراب مصرّم

4- وصف الخمر: يرى الشاعر نفسه حتّى في شرب الخمر شجاعا مقداما:

[1] – أحمد الشنقيطي، المرجع السابق ص45، 46.

[2] – المرجع نفسه، ص 154.

[3] – المرجع نفسه، ص 156.

- ولقد شربت من المدامة بعدما ركدّ الهواجر بالمـــشوف المعلم[1]

5- الفروسية: يفتخر بشجاعته في خوض المعارك وعدم خوفه من المنية في قوله:

- ومدجّج كره الكماة نزاله لا ممعن هربا ولا مـــستسلم.

❖ **معلقة الحارث بن حلزة اليشكري:**

" هو الحارث بن حلزة بن مكروه بن يزيد، وحلزة بكسر الحاء المهملة وكسر اللام المشدّدة وهو في اللّغة اسم دويبة، واسم البومة ويقال امرأة حلزة للقصيرة والبخيلة، والحلز السيء الخلق...ضرب به المثل في الفخر، فقيل أفخر من الحارث بن حلزة."[2] تتكون معلقته من 84 بيتا.

مضامين معلقة الحارث بن حلزة:

كان الباعث الرئيس لإنشاد هذه المعلقة هو دفاع الشاعر عن نفسه وتفنيد أقوال خصمه، وفي خضم ذلك احتوت المعلقة على المضامين التالية:

1- الوقفة الطللية والبكاء على الأحبة: في قوله:

- آذنتنا ببيـــــــنها أسمـاء رب ثاوٍ يملّ منه الثواء.[3]

2- تكذيب مزاعم التغلبيين: في قوله:

[1] – أحمد الشنقيطي، المرجع السابق .163.

[2] – المرجع نفسه، ص48، 49.

[3] – المرجع نفسه، ص171.

- وأتانا من الحوادث والأنباء خطبٌ نعنى به ونساء[1]

3- الافتخار بالقبيلة وعدم الاكتراث للواشين:

- لا تخلنا على غراتك إنّا قبل ما قد وشى بنا الأعداء[2]

4- إبراز مساوئ العدو ونقضهم للسلم:

- ما أصابوا من تغلبي فمطلو ل عليه إذا أصيب العفاء[3]

5- في مدح الملك:

- وولدنا عمرو بن أمّ أناس من قريب لما أتانا الحباء.[4]

ممّا تقدم، وضمن هذا الأفق، فهذه هي المعلقات السبع حسب ترتيب أغلب الشراح الذين كان لهم باع كبير في شرح هذه المعلقات، على الرغم من التفاوت الملحوظ في عدد أبيات المعلقات أحيانا.

✓ **القصائد المزيدة عن المعلقات السبع**: لا يفوتنا في هذا السياق أنْ نشير إلى المعلقات التي زيدت على ما تم الإشارة إليه حسب الشنقيطي وهي على النحو الآتي:

[1]- أحمد الشنقيطي، شرح المعلقات العشر وأخبار شعرائها، ص .173

[2]- المرجع نفسه، ص.174

[3]- المرجع نفسه، ص.177

[4]- المرجع نفسه، ص.180

- **معلّقة الأعشى ميمون** المتكونة من 64 بيتا، وقد شملت مواضيع متعدّدة (تصوير المحبوبة ومفاتنها، والحديث عن مجلس الشرب مع الخلان، هجاء يزيد بن شيبان، الوعيد بالثأر.) مطلعها:

ودّع هريرة إنّ الركب مرتحل وهل تطيق وداعا أيها الرجل.[1]

- **معلّقة النابغة الذبياني** المتكونة من 43 بيتا، والتي شملت المواضيع التالية:(الوقوف على الأطلال، وصف الحبيبة، مدح النعمان بن المنذر) مطلع معلقته:

يا دار ميّة بالعلياء فالسّند أقوت وطال عليها سالف الأبد.[2]

- **معلقة عبيد بن الأبرص** المتكونة من 47 بيتا، والتي شملت المضامين التالية: (ذكر الديار التي أقفرت من أهلها، واقع الحياة ونهاية الإنسان الحتمية، وصف الترحال بالناقة، الصراع بين العقاب والثعلب) مطلع معلّقته:

أقفر من أهله ملحوب فالقطَّبِيَّاتُ فالذنوب.[3]

بناءً على ما تقدم، بيّنت النصوص الشعرية القديمة تشبّث الشاعر بالمكان الذي ارتبط به منذ عهود قديمة، فلا قدرة على مغادرته إلاّ إذا غدر به الدهر ونوائبه، وتكراره للمشاهد المترامية عبر صور القصيدة الجاهلية، خاض فيها صراعا مريرا مع قوى الطبيعة ونقل فيها

[1] – أحمد الشنقيطي، المرجع السابق، 183.

[2] – المرجع نفسه، ص .202

[3] – المرجع نفسه، ص217.

مأساة إنسانية عبرت بصدق عن تطاول المكان على الشّاعر و نفسيّته؛ ومن ثمّ تشكل المعلقات أحد روافد التراث الأدبي. ما يؤكد على خصوبة هذه النّص، التّي حرّكت أقلام النقاد القدماء والمحدثين من أجل فكّ شفراته وسبر أغواره.

قائمة المصادر والمراجع:

1- إبراهيم أنيس وآخرون المعجم، الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط4، 2004

2- أحمد الشنقيطي، شرح المعلقات العشر وأخبار شعرائها، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، ط3، 1980.

3- أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج6 ، تح: عبد المجيد الترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1983.

4- الجاحظ، البيان والتبيين، تح: عبد السلام محمد هارون ، القاهرة ،1975

5- جلال الدين سيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ج1، تح: علي محمد البجاوي، مطبعة الحلبي، 1958.

6- ابن رشيق، العمدة ، ج1، دار الجيل، بيروت، د.ت، ج1، 1973.

7- زكريا صيام، دراسة في الشعر الجاهلي، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، ط2، 1993.

8- أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي، جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام، تح: علي محمد البجاوي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، د ط، د ت.

9- شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي في العصر الجاهلي، دار المعارف، القاهرة، ط24، 2003.

10- عبد الله الحسين بن أحمد الزوزني، شرح المعلقات السبع، الدار العالمية، بيروت، لبنان، د ط، 1992

11- عفت الشرقاوي، دروس ونصوص في قضايا الأدب الجاهلي، دار النهضة العربية، بيروت، 1979

12- القرني، جمهرة أشعار العرب، دار المسيرة، بيروت، لبنان، د.ت.

13- وهب أحمد رومية، شعرنا القديم والنّقد الجديد، عالم المعرفة، الكويت، 1996.

14- André Miquel, La littérature Arabe, 1ere édition, presses universitaires de France, Paris1969،

المحاضرة الثالثة

شعر الصعاليك (نصوص...لامية العرب للشنفرى)

محتوى المحاضرة:

- ✓ الصعلكة لغة واصطلاحا
- ✓ أسباب الصعلكة
- ✓ الشعراء الصعاليك نماذج شعرية مختارة
- ✓ مميزات شعر الصعاليك
- ✓ الخصائص الفنية في لامية العرب للشنفرى

تعدّ ظاهرة الصعلكة من أهمّ المظاهر التي كان لها بروز واضح في العصر الجاهلي؛ وهي ثمرة من ثمار انعدام الشعور بالتوافق مع قيم الجماعة، واحتجاجا على غياب العدل واندثار أهمّ الشروط الضرورية التي يعتمدها مبدأ التكافؤ الذي يعدّ من أولى ضرورات التكافل الاجتماعي بين أفراد القبيلة، كما تعدّ تمردا على النظرة العرقية التي كانت تولد أزمات نفسية عند من رفضت القبيلة أن تنسبهم إليها.

الصعلكة لغة:

" الصعلوك هو الفقير الذي لا مال له "[1] وعلى هذا نستطيع أن نقول إن الصعلوك في اللغة هو الفقير الذي لا مال له يستعين به على أعباء الحياة، و لا اعتماد له على شيء أو أحد يتكل عليه ليشق طريقه فيها، ويعينه عليها، حتى يسلك سبيله كما يسلكه سائر البشر الذين يتعاونون على الحياة، ويواجهون مشكلاتها معا، أما في المعجم الوسيط " الصعلوك: الفقير، جمع صعاليك، وصعاليك العرب فتاكها، ورأس مصعلك: صغير مدور"[2]

إذا أردنا أن نعرف الصعلوك بعبارة أخرى: هو الفقير الذي يواجه الحياة وحيدا، وقد جردته من وسائل العيش فيها، وسلبته كل ما يستطيع أن يعتمد عليه في مواجهة مشكلاتها، فالمسألة اذن ليست فقرا فحسب وانما فقر يغلق أبواب الحياة في وجه صاحبه، ويسد كل المسالك أمامه فتصبح حياته كلها مصاعب ومأسي.

[1] محمود، حسن أبو ناجي: الشنفرى شاعر الصحراء الأبي، الجزائر عاصمة الثقافة العربية الجزائر 2007، ص36.

[2] إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، مرجع سابق، ص515.

والصعاليك طائفة ظهرت في عصور مختلفة بين طوائف مختلفة من الشعراء " فقد حققوا حضورا ملموسا في الحياة العامة، وأسهموا في تسجيل جوانب من معالم هذه العصور، و ما شهده من ازدهار في مجالات الأدب، ولاسيما من حيث ظهور أولى ملامح التجديد في الموضوعات والأغراض والأساليب، مثلما أكده الكثير من الباحثين "[1]

وعليه فإن الصعاليك أناس تجردوا للإغارة وقطع الطرق... وقد نبذهم آباءهم، ولم يلحقوهم بهم مثل: السليك بن السلكة، وتأبط شرا، والشنفرى. وهم ينتمون إلى طائفة "الأغربة" السود الذين سرى اليهم السواد من أمهاتهم الإماء فلم يعترف بهم أباؤهم، ولم ينسبوهم إليهم، ومن الذين انتم والى هذه الطائفة وهم ليسوا خلعاء ولا أبناء إماء : عروة بن الورد العبسي، فهو لم يكن خليعا و إنما هو من طائفة الفقراء المتمردين الذين تصعلكوا نتيجة لتلك الظروف الاقتصادية التي كانت تسود المجتمع الجاهلي والاجتماعية.

وقد جاء شعرهم كثورة قائمة على الكفر بأوضاع الحرمان والفقر اللذين فرضا عليهم، فقد سيطرت الروح القبلية على نفوس الشعراء وتمدحهم بقبائلهم أحال الحياة العربية إلى فردية قاتلة، ومن ثمّ " فالظاهرة الواضحة في حياة هؤلاء الصعاليك على اختلاف الدوافع التي دفعتهم إلى حياة التصعلك هي أنهم جميعا فقدوا توافقهم الاجتماعي و ظاهرة "التوافق الاجتماعي" هي الظاهرة التي يقرر علماء الاجتماعين أنها الأساس الذي تقوم عليه الصلة بين الفرد والمجتمع، بحيث يكون عمل الفرد من أجل صالح المجموع، كما يكون عمل المجموع لصالح الفرد "[2] وعلى ضوء ما سبق فان ظاهرة الصعلكة ظاهرة اجتماعية متمردة في المجتمع

[1] ضياء غني لفتة: البنية السردية في شعر الصعاليك، دار الجامد للنشر والتوزيع، عمان، الأردن،ط1، 2009 ، ص 26 ، 27.

[2] يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، دار المعارف، القاهرة، ط3، د ت، ص 52 ، 53.

تولد من عدم إمكان تعايش الفرد في إطار القبائل العربية بأنظمتها وقوانينها، فقد تميز شعر الصعاليك بالتعبير عن الأنا والوحدة والبعد والتهميش عن المجتمع، فالمجتمع الجاهلي القبلي من علاقاته الاجتماعية وكيف أن بعض الأعراف والتقاليد دفعت الكثير من أفراد المجتمع الجاهلي للانضمام إلى طائفة الصعاليك ثم إن البيئة الجغرافية ساعدت هؤلاء على الاختفاء عن عيون الناس.

لا مناص أن المتأمل في أدب هؤلاء الشعراء الصعاليك سيجد أن أدب هؤلاء جاء مقطوعات ولم يأت على شكل قصائد "ولعل هذا راجع إلى أنهم ذوو خفة وسرعة، لم يعتادوا التمهل، فشعرهم صورة من حياتهم، فهو يتميز بوحدة الموضوع إذ ليس فيه بكاء على الأطلال و لا غزل أو نحو ذلك"[1]

أسباب الصعلكة:

1- تأثير العامل الجغرافي في نشوء حركة الصعلكة:

اتخذ صعاليك العرب من مناطق الخصب في الجزيرة العربية يتجهون اليها، ومناطق نشاط يعملون فيها، فان أهم مناطق الخصب في الجزيرة العربية هي: اليمن – نجد، وبعض مناطق السراة، ويثرب والوديان المحيطة بها، فهنا نرى أن هذا المسرح الجغرافي ذا الاتحادات أنه مسرح الصعاليك وموطن الكر والفر، والسلب والنهب والغزو موطن الإغارة والتلصص والفتك وهكذا تظهر قصائد الشعراء وموقف المؤرخين والنقاد وأخبار الرواة حول هذه الحركة المثيرة ويجب أن لا ننكر أثر هذه البيئة.

[1] يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص 131.

والذي شجع هؤلاء الصعاليك على اختيار تلك الأماكن التي أشرنا إليها، إنها تسهل هروبهم وتوفر لهم أماكن الاختباء والتخفي بحكم طبيعتها الجبلية الوعرة ومغاراتها المتدخلة وكهوفها وصخورها العالية.

2- أسباب اجتماعية (تأثير القبيلة):

لقد عرف عن القبائل في العصر الجاهلي التجانس والوحدة من حيث الأصل ومن حيث الاعتزاز بشرف القبيلة، فقد كانت القبائل تفتخر بعدد أفرادها، وكان لكل قبيلة عرف وتقليد كان على الجميع الالتزام به، وقد ساعدت الطبيعة القاسية والفقر المدقع وانعدام الزراعة وندرة سقوط الأمطار والنظام القبلي الذي كان ينبذ ويخلع الخارجين على نظام القبيلة، هذه العوامل كلها ساعدت على نشوء الصعاليك الذين كانوا يقطعون الطرق ثم يغيرون على القوافل التجارية ويسلبونهم البهائم والبضائع.

تعددت الأسباب التي دفعت الشعراء الصعاليك إلى انتهاج هذا السبيل، فقد ظهرت فئة من الصعاليك تحللت من الالتزام بما فرضته القبيلة فلم يظهر في أشعارهم الإحساس بالشخصية القبلية، وإنما أصبحت هذه الأشعار تعبر عن شخصياتهم الفردية وتجسيد معيشتهم، وتصوير حياتهم الثورية المتمردة وما تنطوي عليه من خير وشر بالإضافة إلى ما عرفوه من صراع الطبقات ومكافحة الحياة القاسية بغية تغيير الواقع المرير الذي عاشوه ومحاولة منهم للتخلص من العنصرية واسترجاع الحرية والعدالة، لذلك كان شعرهم معبرا في قمة الروعة والجمال والتصوير الفني والخلقي " إنها دنيا الصعاليك التي شاء قدرهم أن يعيشوا فيها، وأن تطويهم رمالها العاتية، شاء قدرهم أن تظل تطويهم هذه القرون المتطاولة حتى حجبتهم عن دنيا البشر، ولم يفكر أحد من الباحثين أن يحاول كشف هذه الرمال عنهم

ليعيدهم إلى النور والحياة."[1] زد على ذلك الفقر والحرمان الذي يتربص بهم وما من شك أن الفقر المدقع هو الذي شجع الشعراء الصعاليك إلى الصعلكة ودفعهم إلى التمرد لتأمين لقمة العيش.

أسباب سياسية:

عرفت القبائل في العصر الجاهلي نظاما سياسيا يحكمها فهي كانت بمثابة تقليد أو دستور ينظم سياستهم ليحدد حقوق واجبات كل فرد فيها، وهذا يقوم على أساس العصبية التي تعدها من نصوص الدستور وعند تدقيقنا للنظر نجد الصعاليك لا يعرضون على هذا الدستور أو هذا النظام السياسي، فإن الحروب هي شريعتهم حتى ولم تكن للنصب والسلب والاغتنام، بل " إن الصعلكة قد حدثت نتيجة عوامل قريبة من تلك العوامل والأسباب التي أدت إلى الحروب ،وقد نجد مبررات للصعلكة ولكنها لا يمكن أن تكون مقبولة بصورة مطلقة وإنّ لكل حالة أسبابها ودوافعها، ومن حق الانسان أن يعيش كريما في موطنه، ولكن ذلك ليس مقدمة لخروج كلّ ذي طموح زائد على المجتمع كما نجد عند بعض الصعاليك فليس كل ما قاله الصعاليك صحيحا"[2]

أسباب اقتصادية:

قد كان سيد الأسباب الاقتصادية دوما اهتزاز النظام المالي بين وجود الفقر المدقع والغنى الفاحش، وبين النظر إلى الفقير على أنه عبد و النظر للغني على أنه سيد، بسبب

[1] – يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص10.

[2] – حسني عبد الجليل يوسف، الأدب الجاهلي ،قضايا ،فنون ،نصوص، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2001، ص186

النظام الاقطاعي، فالمجتمع هنا خالي من القيم الفاضلة و هذا ما جعلهم يتمردون عليه لأن الفقر يجعل من الحياة بلا معنى ويجعل من الإنسان يحيا ذليلا، وعليه، فإنّ تحقيق مبدأ المساواة كان ضربا من المستحيل، فهي قيم أساسها القهر واللاعدالة و" المتأمل في أخبار الصعاليك وأشعارهم يلفت نظرة إحساس مريب بوقع الفقر على نفوسهم، وشكوى صارخة من هوان منزلتهم وعدم تقدير المجتمع لهم، أو الوقوف معهم على قدم المساواة في معترك الحياة، لا لأنّهم عاجزون وإنّما لأن مجتمعهم ظلمهم وحرمهم من تلك العدالة التي يطمح إليها كل فرد، وجردهم من كل الوسائل المشروعة التي يواجهون بها الحياة كما يواجهها غيرهم"[1] فلم يكونوا ليقبلوا بهاته المقاييس الجائرة التي فرضتها القبيلة، فثاروا عليها وأشهروا السلاح في وجه مجتمع ظالم سحقهم.

الشعراء الصعاليك ومميزات شعرهم:

لم يعن شعر الصعاليك العناية الفائقة من حيث الدراسة المتخصصة لأشعارهم كما هو الحال في شعر المعلقات، و إنما عرفت أحاديث متفرقة أو بعض المقالات تترجم لبعض شعرائهم، إلا أنها لم تعرض لهذا الموضوع إلا ما كان من ترجمتها لثلاثة منهم (عروة بن الورد، والشنفرى، وتأبط شرا، السليك بن السلكة) وهؤلاء هم أشهر الشعراء الصعاليك، إضافة إلى أسماء أخرى منها: مالك بن حريم الهمذاني، صخر الغي الهذلي، عمرو بن براقة، عمرو بن عجلان، حاجز بن عوف الأزدي، جحدر بن ضبيعة بن قيس.[2]

[1] – يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، دار المعارف، القاهرة، ط3، د.ت، ص33.

[2] - ينظر، عبد الحليم حنفي، شعر الصعاليك، منهجه وخصائصه، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، د ط، 1987، ص112، 113.

مميزات شعرهم:

معظم شعر الصعاليك عبارة عن مقطوعات وهذا راجع إلى الحياة المضطربة التي كانوا يحيوها فلم يتفرغوا كل التفرغ للفن واعتمدوا غالبا الوحدة الموضوعية، وقد تخلص شعر الصعاليك من المقدمات الطللية التي عرفها الشعر القبلي واستبدلوها (المقدمة الطللية) بالمقدمات الفروسية، وعرف كذلك هذا الشعر بالوضع لشخصية الشاعر الصعلوك، ولغتهم هي لغة أدبية عرفها العصر الجاهلي والتي هي أقرب إلى فطرة اللغة العربية وأصدق تمثيلا لها، وقد اعتمدوا كثرة الغريب في شعرهم، وأوزان شعرهم و زحافاتهم هي الأوزان والزحافات التي عرفها سائر الشعر الجاهلي، وقد كثر انتشار الرجز في شعرهم، أما المضامين التي ميزت شعرهم:

1- الثورة على المجتمع والعزة والإباء.

2- رفض الظلم والذل والحرية في تحديد علاقتهم بمجتمعهم ما دام هذا المجتمع يريد أن يفرض عليهم عبوديته.

3- الشجاعة والإقدام فكانوا لا يرون للخوف معنى.

وفي هذا الإطار، سنتوغّل عند القصائد التي كان لها صدى واسع في شعر الصعلكة مع ترجمة لشعرائها:

1-الشنفرى الأزدي:

"اختلف الرواة في اسم الشنفرى، ولقبه، ونسبه، فقال بعضهم إن الشنفرى لقب له ، واسمه عمرو بن براق، او ثابت بن أوس ، او ثابت بن جابر على ثلاثة أقوال، وقال بعضهم

إن الشنفرى هو اسمه الحقيقي لا لقب له، وذهب معظم العلماء إلى أن "الشنفرى" لقبه ، وهو بمعنى الغليظ الشفتين، وأن الشاعر لقب بذلك لعظم شفتيه. وهو من الأواس بن الحجر بن الهنء بن الأزد بن الغوث ، شاعر جاهلي قحطاني من اليمن."[1]

لامية الشنفرى: تحتله من مكانة بارزة جعلتها من أقوى القصائد الجاهلية، فقد جمعت ما يحويه شعر الصعاليك من مظاهر شعرية، لقصيدة «لامية العرب» مكانة كبيرة في الشعر العربي، حيث نالت اهتمام علماء اللغة العربية قديماً وحديثاً، كما اهتم بها عدد كبير من المستشرقين، ويلحظ الدارس أن لغة الشنفرى في هذه القصيدة تنتمي برمتها إلى محيطه البدوي بحيوانه وصحرائه، ولذا كثرت فيها الألفاظ الغريبة.

لامية العرب: يقول الشنفرى:[2]

1 - أقيموا بني أمي صدور مطيكم فإني إلى قوم سواكم لأميل

2-فقد حمت الحاجاتُ ، والليلُ مقمرٌ وشُدت ، لِطياتٍ ، مطايا وأرحُلُ؛

3-وفي الأرض مَنْأىً ، للكريم ، عن الأذى وفيها ، لمن خاف القِلى ، مُتعزَّلُ

4-لَعَمْرُكَ ، ما بالأرض ضيقٌ على أمرئٍ سَرَى راغباً أو راهباً ، وهو يعقلُ

5-ولي ، دونكم ، أهلونَ : سِيْدٌ عَمَلَّسٌ وأرقطُ زُهلول وَعَرفاءُ جيألُ

[1]- ديوان الشنفرى، عمرو بن مالك، جمع وتحقيق وشرح: إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط2، 1996، ص9، 10.

[2]- المرجع نفسه، ص58، 59، 60، 61، 62.

6-هم الأهلُ . لا مستـودعُ السرِّ ذائعٌ لديهم ، ولا الجاني بما جَرَّ ، يُخْذَلُ

7-وكلُّ أبيٍّ ، باسلٌ غـــــــير أنني إذا عرضت أولى الطرائدِ أبســـلُ

8-وإن مدتْ الأيدي إلى الزاد لم أكن بأعجلهم ، إذ أجْشَعُ القومِ أعجل

9-وماذاك إلا بَسْطَةٌ عن تفـــــضلٍ عَلَيهِم ، وكان الأفضلَ المتفــضِّلُ

10- وإني كفاني فَقْدُ من ليس جازياً بِحُسنى ، ولا في قربه مُتَـــــــعَلَّلُ

11- ثلاثةُ أصحابٍ : فؤادٌ مشيعٌ ، وأبيضُ إصليتٌ ، وصــفراءُ عيطلُ

12- هَتوفٌ، من الملْسِ المتُونِ،يزينها رصائعُ قد نيطـت إليها ، ومِحْمَلُ

13- إذا زلّ عنها السهمُ،حَنَّتْ كأنها مُرَزَّأةٌ ، ثكلى ، ترِنُ وتُـــــعْوِلُ

14- ولستُ بمهيافٍ ، يُعَشِّى سَوامهُ مُجَدَعَةً سُـــــقبانها ، وهي بُهَّلُ

15- ولا جبأ أكـــــهى مُرِبٍّ بعرسِهِ يُطـــــالعها في شأنه كيف يفعلُ

16- ولا خَرِقٍ هَيْـــــقٍ ، كأن فُؤَادهُ يَظَلُّ به المكـــــاءُ يعلو ويَسْفُلُ

17- ولا خالفِ داريَّةٍ ، مُتـــــــغَزِّلٍ يروحُ ويغدو ، داهناً ، يتــكحلُ

18- ولستُ بِعَلٍّ شَرُّهُ دُونَ خَـــيرِهِ ألفَّ ، إذا ما رُعَته اهتاجَ ، أعزلُ

19- ولستُ بمحيار الظَّلامِ، إذا انتحت هدى الهوجلِ العسيفِ يهماءُ هوجَلُ

20- إذا الأمعزُ الصَـــــــوَّان لاقى تطاير مـــــــــــنه قادحٌ ومُفَلَّلُ

21- أُدِيمُ مِطالَ الجوعِ حتى أُمِـــــــيتهُ ، وأضربُ عنه الذِّكرَ صفحاً ، فأذهَلُ

22- وأستـــــفُّ تُرب الأرضِ كي لا يرى لهُ عَليَّ ، من الطَّوْلِ ، امرُؤ مُتطوِّلُ

23- ولولا اجتناب الذأم ، لم يُلْفَ مَشربٌ يُعاش به ، إلا لديِّ ، ومأكـــــلُ

24- ولكنَّ نفســـــــــــاً مُرةً لا تقيمُ بي على الضيم ، إلا ريثـــما أتحولُ

25- وأطوِي على الخُمـــــــص الحوايا ، كما انطوتْ خُيُوطَةُ ماريّ تُغارُ وتفتلُ

26- وأغدو على القوتِ الزهـــيدِ كما غدا أزلُّ تهاداه التَّنـــائِفُ ، أطحلُ

27- غدا طَاوياً ، يعارضُ الرِّيحَ ، هافياً يخُوتُ بأذناب الشِّـــعَاب ، ويعْسِلُ

28- فلمَّا لواهُ القُوتُ من حيـــث أمَّهُ دعا ؛ فأجابته نظـــــــــائرُ نُحَّلُ

29- مُهَلْهَلَةٌ ، شِيـــبُ الوجوهِ ، كأنها قِداحٌ بكفيَّ ياسِرٍ ، تتَـــــــقَلْقَلُ

30- أو الخَشْرَمُ المبعوثُ حثـــحَثَ دَبْرَهُ مَحَابيـــــــــضُ أرداهُنَّ سَامٍ مُعَسِّلُ

31- مُهَرَّتَةٌ ، فُوهٌ ، كأن شُـــــــدُوقها شُقُوقُ العِصـــيِّ ، كالحاتٌ وَبُسَّلُ

32- فَضَجَّ ، وضَجَّتْ ، بِالبَرَاحِ ، كأنَّها وإياهُ ، نوْحٌ فوقَ عـــــليلاء ، ثُكَّلُ

33- وأغضى وأغضتْ، واتسى واتَّستْ بهِ مَراميلُ عَزَّاها ، وعَزَّتهُ مُـــــــرْمِلُ

34- شَكا وشكَتْ، ثم ارعوى بعدُ وارعوت ولَلصَّبرُ ، إن لم يـــنفع الشكوُ أجملُ!

35- وَفَاءَ وفـــاءتْ بادِراتٍ ، وكُـــلُّها على نَكَـــــــظٍ مِمَّا يُكاتِمُ ، مُجْمِلُ

36- وتشربُ أسآرِي القطا الكُدْرُ ؛ بعدما سرت قرباً ، أحـــــناؤها تتصلصلُ

37- هَمَمْتُ وَهَمَّتْ ، وابتدرنا ، وأسْدَلَتْ وَشَمَّرَ مِني فَارِطٌ مُتـــــــــــــمَهِّلُ

38- فَوَلَّيْتُ عنها ، وهي تكبو لِعَــقْرِهِ يُباشـــــــــــرُهُ منها ذُقونٌ وحَوْصَلُ

39- كأن وغاها ، حجرتيهِ وحـــــولهُ أضـاميمُ من سَفْرِ القـــــبائلِ ، نُزَّلُ

40- توافينَ مِن شَتَّى إليهِ ، فضَمـــــَّها كما ضَمَّ أذواد الأصـــــــاريم مَنْهَل

41- فَعَبَّتْ غشاشاً ، ثُمَّ مَـــرَّتْ كأنها، مع الصُّبْحِ ، ركبٌ ، من أُحَاظة مُجْفِلُ

42- وآلف وجه الأرض عند افتراشها بأهْدَأ تُنبيه سَـــــــــــناسِنُ قُحَّلُ

43- وأعدلُ مَنحوضاً كأن فصُـــوصَهُ كِعَابٌ دحاها لاعبٌ ، فهـــــي مُثَّلُ

44- فإن تبتئس بالشنفرى أم قسطلٍ لما اغتبطتْ بالشنفرى قبلُ ، أطولُ !

45- طَرِيدُ جِناياتٍ تياســـرنَ لَحْمَهُ ، عَقِـــــــــــيرَتُهُ في أيِّها حُمَّ أولُ

46- تنامُ إذا ما نام ، يقظى عُيُونُها ، حِثاثاً إلى مكـــــــــــروهِهِ تَتَغَلْغَلُ

47- وإلفُ هموٍم ما تزال تَعُودهُ عِياداً كـــــــــــحمى الرَّبعِ ، أوهي أثقلُ

48- إذا وردتْ أصدرتُها، ثُمَّ إنها تثوبُ، فتأتي مِن تُحَيْـــــــــــتٍ ومن عَلُ

49- فإما تريني كابنة الرَّمْلِ، ضـــاحياً على رقةٍ ، أحـــــــفى ، ولا أتنعلُ

50- فإني لمولى الصبر ، أجـــتابُ بَزَّه على مِثل قلب السِّمْع ، والحزم أنعلُ

51- وأُعدمُ أحْياناً ، وأُغـــنى ، وإنما ينالُ الغِنى ذو البُـــــــعْدَةِ المتبَذِّلُ

52- فلا جَزَعٌ من خِلةٍ مُتكشـــفٌ ولا مَرِحٌ تحـــــــــت الغِنى أتخيلُ

53- ولا تزدهي الأجهال حِلمي، ولا أُرى سؤولاً بأعقاب الأقـــاويلِ أُنمِلُ

54- وليلةِ نحسٍ ، يصطلي القـــوس ربها وأقطـــــــــعهُ اللاتي بها يتنبلُ

55- دعستُ على غطْشٍ وبغشٍ، وصحبتي سُعارٌ ، وإرزيزٌ ، وَوَجْرٌ ، وأفكُلُ

56- فأيَّمتُ نِســـــواناً ، وأيتمـــتُ وِلْدَةً وعُدْتُ كما أبْدَأتُ ، والليل أليَلُ

57- وأصبح ، عني ، بالغُميصاءِ ، جالساً فريقان : مســـؤولٌ ، وآخرُ يسألُ

58- فقالوا : لقد هَـــــــرَّتْ بِليلٍ كِلابُنا فقلنا : أذِئبٌ عسَّ ؟ أم عسَّ فُرعُلُ

59- فلمْ تَكُ إلا نبـــأةٌ ، ثم هـــــوَّمَتْ فقلنا قطـــــاةٌ رِيعَ ، أم ريعَ أجْدَلُ

60- فإن يَـــكُ من جنٍّ ، لأبرحَ طَـــارقاً وإن يَكُ إنساً ، مَاكها الإنسُ تَفعَلُ

61- ويومٍ من الشِّـــعرى ، يذوبُ لُعابهُ ، أفاعيه ، في رمضـــــــائهِ ، تتملْمَلُ

62- نَصَبْتُ له وجـــهي ، ولاكـــنَّ دُونَه ولا ستر إلا الأتحـــــــــميُّ المرَعْبَلُ

63- وضافٍ ، إذا هبتْ له الريحُ ، طيَّرتْ لبائدَ عن أعـــــــــطافهِ ما ترجَّلُ

64- بعيدٍ بمسِّ الدِّهنِ والفـــلْى عُـــهْدُه له عَبَسٌ ، عافٍ من الغســـلِ مُحْوَلُ

65- وخَرقٍ كظهر الترسِ ، قَفْرٍ قطـــعتهُ بِعَامِلتـــــــــين ، ظهرهُ ليس يعملُ

66- وألحقتُ أولاهُ بأخـــــراه ، مُـوفياً على قُنَّةٍ ، أُقـــــــعي مِراراً وأمثُلُ

67- تَرُودُ الأرَاوِي الصُّحْمُ حَوْلِي كأنّها عَذَارَى عَلَيْـــــــــهِنَّ المِلاَءُ المذَيَّلُ

68- ويَرْكُدْنَ بالآصَالِ حَوْلِي كأنّـــني مِنَ العُصْمِ أدْفى يَنْتَحي الكِيحَ أعْقَلُ

الخصائص الفنية في لامية الشنفرى:

– التخلص من المقدمة الغزلية:

1- عرفت لامية الشنفرى بعدم احتوائها على المقدمة الغزلية ولا ذكر للأطلال، الأمر الذي ألفناه عند شعراء الجاهلية، لأن معظم شعر الصعاليك ورد مقطوعات ولم يرد قصائد وذلك راجع لأنهم لم يكونوا مستقرين وكذلك اشتغالهم بالإغارة على القوافل.

2- الانعتاق من الشخصية القبلية :

شكلت تقاليد القبيلة دورا كبيرا في حياة الفرد، فقد كان يعتز بقبيلته اعتزازا عظيما لأنها كانت تحميه وتدافع عنه وبدوره هو يقوم بالدفاع عنها حيث تتعرض القبيلة للخطر، وقد كان على الفرد أن يلتزم بقواعد القبيلة وإن حدث وتعداها يصبح خليعا أو طريدا فتتبرأ القبيلة منه وتعلن أنها غير مسؤولة عن تصرفاته وما يقوم به، لهذا كان على هؤلاء الخلعاء أو المطرودين اللجوء إلى الجماعة الصعلوكية التي توحدت على الغو والنهب، وعلى هذا فقد حلت الرابطة الصعلوكية محل الرابطة القبلية، فاتخذ الشنفرى من الصعاليك أصدقاء أوفياء ولكنه تميز عنهم فقد اتخذ الحيوانات أصدقاء لأنه وجد فيهم الوفاء بعيدا عن قسوة المجتمع الذي حرمه الحنان.

3- **العفة وإباء الضيم والترفع عن الدنيا:** كان الشنفرى عفيفا رغم ميوله إلى القتل والفتك، فالشعراء الصعاليك يترفعون عن الدنيا ويؤثرون الآخرين على أنفسهم، بل كانوا يفضلون الحياة الكريمة أو الموت لأن الموت أفضل من حياة الذل والفقر المادي، ولا شك بأن الغزوة التي أعلنها الصعاليك هي غزوة قائمة على الأغنياء البخلاء لا على الأغنياء الكرماء، فقد كان الصعلوك رغم ندرة الزاد والطعام، وقد كان الشنفرى قنوعا، عفيفا، فحين ضربته الفتاة لم يبادلها الضرب وانما تركها وذهب مغاضبا لأبيها، فقد عرف عنهم التسامح والعفو رغم تاريخهم المصطبغ بالدماء.

- عروة بن الورد: "يعتبر عروة بن الورد من بين الشعراء العرب، أحب الشخصيات أكثرها جاذبية، ذاك لما اشتمل عليه شعر هذا الشاعر الفطري من آداب إنسانية رقيقة، وأخلاق الفارس النبيل الكريمة المعطاءة ...ولقّب بعروة الصعاليك لأنه كان يجمع صعاليك العرب ويقوم بأمرهم، فيرعى أحوالهم."[1] هو عروة بن الورد بن زيد، وقيل عروة بن الورد بن زيد العبسي، شاعر جاهلي من الصعاليك، كان ، وفي هذا الإطار نرصد أشهر قصيدة في الصعلكة لعروة بن الورد:[2]

- لَحَى اللهُ صُعلوكًا إذَا جَنَّ لَيْلُهُ مَصَارِفِي المشَاشِ أَلْفًا كُلَّ مَحْرِزِ
- يَعِدُّ الغِنى مِنْ دَهْرِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ أَصَابَ قَرَاهَا مِنْ صَدِيْقٍ مُيَسَّرِ
- يَنَامُ عِشَاءً ثُمَّ يُصْبِحُ قَاعِدًا يَحُثُّ الحَصَى مِنْ جَنْبِهِ المتَعَفِّرِ

[1]- عروة بن الورد، الديوان، شرح وتحقيق: أسماء أبو بكر محمد، منشورات الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د ط، 1998، ص9

[2]- المرجع نفسه، ص9.

-**تأبط شرا:** هو "ثابت بن جابر بن سفيان بن عميثل بن عدي بن كعب، يقال له تأبّط شرا لأنّ أمّه قالت له: كلّ إخوتك يأتونني بشيء إذا عادوا إلا أنت، فخرج فاصطاد أفاعي كثيرة وعاد بها إليها، فلما سألتها نسوة الحي عن طريقة حمل ابنها للأفاعي قالت: تأبطهن، قلن: لقد تأبّط شرا، عرف بالعدو حتى قيل أنّه كان إذا جاع اختار أسمن الظباء وجرى خلفها حتى إذا أمسكها شواها وأكل لحمها."[1]

من أشهر قصائده: [2]

- يَا عِيدُ مَالَكَ منْ شَـــوْقٍ وإِبْراقِ ومَرِّ طَيْفٍ عَلى الأهْـــوالِ طَرَّاقِ
- يَسْرِي عَلَى الأَيْنِ والحَيَّاتِ، مُحْتَفِيًا، نَفْسِي فِدَاؤُكَ منْ سَارٍ عَلى سَاقِ
- طَيْفِ ابْنَةِ الحُرِّ إذْ كُنَّا نُواصِـــلُها ثُمَّ اجْتَنَبْتُ بهَا بَعْدَ التّـــــفْرَاقِ

لقد ظهرت فئة من الصعاليك تحللت من الالتزام بما فرضته القبيلة فلم يظهر في أشعارهم الإحساس بالشخصية القبلية، وإنما أصبحت هذه الأشعار تعبر عن شخصياتهم الفردية وتجسيد معيشتهم، وتصوير حياتهم الثورية المتمردة وما تنطوي عليه من خير وشر بالإضافة إلى ما عرفوه من صراع الطبقات ومكافحة الحياة القاسية بغية تغيير الواقع المرير الذي عاشوه

[1] – ديوان تأبط شرا وأخباره، جمع وتحقيق وشرح: علي ذو الفقار شاكر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1984، ص263، 264

[2] – المرجع نفسه، ص 125، 127.

ومحاولة منهم للتخلص من العنصرية واسترجاع الحرية والعدالة، على أنّ البيئة بكل مكوناتها خلقت وبثت في نفوس هؤلاء الصعاليك بذور الظلم والإهانة والاستبداد في مجتمع تحكمه أعراف الجاهلية عد هذا من أسباب الصعلكة التي برز هذا في فكرهم ثقافتهم وتوضحت جليا في أدبهم الذي عبر عنهم، لذلك كان شعرهم معبرا في قمة الروعة والجمال والتصوير الفني والخلقي.

قائمة المصادر والمراجع:

1- إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط4، 2004

2-تأبط شرا، ديوان تأبط شرا وأخباره، جمع وتحقيق وشرح: علي ذو الفقار شاكر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1984.

3-حسني عبد الجليل يوسف، الأدب الجاهلي ،قضايا ،فنون ،نصوص، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2001

4- الشنفرى عمرو بن مالك، الديوان ، جمع وتحقيق وشرح: إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط2، 1996

5-ضياء غني لفتة: البنية السردية في شعر الصعاليك، دار الجامد للنشر والتوزيع، عمان، الأردن،ط1، 2009 .

6-عبد الحليم حنفي، شعر الصعاليك، منهجه وخصائصه، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، د ط، 1987.

7-عروة بن الورد، الديوان، شرح وتحقيق: أسماء أبو بكر محمد، منشورات الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د ط، 1998.

8-محمود حسن أبو ناجي: الشنفرى شاعر الصحراء الأبي، الجزائر عاصمة الثقافة العربية الجزائر 2007.

9-يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، دار المعارف، القاهرة، ط3، د.ت.

المحاضرة الرابعة

الشعر في صدر الإسلام شعر الفتوحات

محتوى المحاضرة:

- ✓ الحياة الأدبية في صدر الإسلام
- ✓ أسباب ضعف الشعر في صدر الإسلام
- ✓ نماذج شعرية من شعر المدح وتأييد الرسول
- ✓ شعر الفتوح
- ✓ أغراض شعر الفتوح، نماذج شعريّة.

لقد تضاربت الآراء حول مفهوم الأدب الإسلامي والعصر الإسلامي، لكنّ النقطة التي يتمّ التركيز عليها هي كيف تعامل القرآن الكريم مع الشعر؟ وهل تأثر الشعر بالقرآن الكريم؟

عصر صدر الإسلام مصطلح أطلق للدلالة على الفترة الأولى من ظهور الإسلام من بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى غاية 40 للهجرة آخر الخلفاء الراشدين، وفي هذا المضمار يحدد نايف معروف مفهوم أدب عصر صدر الإسلام بقوله: "وما يعنينا في هذه العجالة هو أن نحدد مفهوم الأدب الإسلامي الذي اتخذناه معلما لكتابنا، وقصرناه على صدر الإسلام الذي يبدأ بعصر النبوة الشريفة، وينتهي بانتهاء الخلافة الراشدة؛ تلك الحقبة التي كانت، وما زالت، وستبقى، القبلة التي تهفو إليها القلوب، وتسترشد بها العقول، وتسمو بسموها النفوس."[1] فلقد كان ظهور الإسلام نتيجة حتمية للحالة التي كان العرب يعيشونها، ويتضح ذلك من تسمية القرآن لها بالجاهلية، فكان على الإسلام أن قلب العقلية العربية وشنّ حربا على الجاهلية بمختلف مظاهرها، ورسم للمجتمع صورة جديدة تخالف ما كان معروفا ومألوفا، وظهرت آثار الإسلام في جميع مجالات الحياة.

الحياة الأدبية في صدر الإسلام:

لقد أحدث ظهور الإسلام تحولاً جذرياً في حياة الأمة العربية ونقلها من طور التجزئة القبلية إلى طور التوحد في إطار دولة عربية تدين بالإسلام وتتخذ القرآن الكريم مثلاً أعلى،

[1]– نايف معروف: الأدب الإسلامي في عهد النبوة وخلافة الراشدين، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط 2، 1998م، ص 7.

وكان لابد لهذا الحدث العظيم من أن يعكس صداه القوي في الحياة الأدبية لهذه الأمة. شعراً ونثراً ومن الطبيعي أن النتاج الأدبي للأمة يتفاعل مع البيئة التي تظله ويخضع لمؤثراتها.

وفي هذا الإطار، أجمع الكثير من النقاد أنّ الشعر ضعف في عصر صدر الإسلام مقارنة مع العصر الجاهلي وهذا للأسباب التالية:

- عزوف الناس عن قول الشعر.
- انشغال الشعراء ومتذوقي الشعر بالفتوحات الاسلامية.
- الاسلام ثورة جذرية على كلّ ما هو جاهلي.

وفي هذا الصّدد يشير مصطفى السيوفي على ذلك التغيير الجذري الذي غيّر ألفاظ ومعاني ودلالات الشعراء " لقد حظر عليهم الاسلام أنْ يلموا منه إلاّ بما عفّ لفظه وشرف معناه...من أجل ذلك تحوّلوا عنْ معانيهم الشعرية النّي أجادوها، وأبدعوا فيها إلى المعاني التي أقرها الدين الحنيف ويرتضيها، بل إنّ من شعرائهم من امتنع عن قول الشّعر في الاسلام، لأنّ الله أبدله به خيرا."[1]

وحين تُرصد الظواهر الأدبية في صدر الإسلام يتبين بجلاء ما تركه الإسلام من بصمات واضحة في مسيرة الأدب عصرئذ وفي سماته وخصائصه. ومن أبرز آثاره ضمور فنون أدبية كانت مزدهرة في العصر الجاهلي وظهور فنون جديدة أو تطور فنون قديمة. فقد قضى الإسلام على سجع الكهان الذي كان مرتبطاً بالوثنية الجاهلية ونهي الخطباء عن محاكاة ذلك

[1]- مصطفى السيوفي، تاريخ الأدب في صدر الاسلام، الدّار الدولية للاستثمارات الثقافية، القاهرة، مصر، ط1، 2008، ص.37،38.

السجع في خطبهم، وظهر لون من الخطابة يستقي من ينابيع الإسلام. وأخذ الشعراء يعزفون عن النظم في الأغراض التي كانت حياة العرب في الجاهلية تدعو إليها. واتجهوا إلى أغراض دعت إليها البيئة الإسلامية كشعر الجهاد والفتوح والشعر الديني، وأصبح شعرهم يدور حول معان تتصل بالقيم والمثل الإسلامية. وقد أوجد الإسلام مبادئ خلقية تلائم تعاليمه وروحه فانعكست هذه المبادئ في النتاج الأدبي في عصر صدر الإسلام.

وفي هذا الإطار، برزت طائفة من الشعراء بعد اعتناقهم الاسلام، جعلوا من قرائحهم الشعرية سلاحا من أسلحة الحرب وخدمة هذا الدين الجديد، ودعوتهم إلى نصرة رسول الله وإظهار الحق، ومن بين هؤلاء الشعراء نذكر: حسّان بن ثابت، عبد الله بن رواحة، وكعب بن مالك... بل إن الرسول الله صلوات الله عليه ليدفعهم دفعا إلى نصرته إذ يقول لحسان بن ثابت : " اهج قريشا فوالله لهجاؤك عليهم أشد من وقع السهام في غلس الظلام، اهجهم ومعك جبريل روح القدس"[1] ولقد كان لهذا الانقلاب الديني الذي مس حياة العرب في جميع نواحيها أثره المحقق في حياة العرب والشعراء، وفي هذا المضمار نلفي أنّ الشعر قد تحرر من صفات أسلوب الشعر الجاهلي تحررا ظاهرا، وأصبح له طابع جديد، يتسم بالوضوح والسهولة، مع المحافظة على جزالة التركيب. هذا وقد هذّب الإسلام من ألسنة الشعراء متأثرين بالقرآن الكريم الذي أعجز الناس وسيعجزهم إلى يوم الدين، حيث سحرت العرب ببلاغة القرآن وبهرتهم فصاحته، وكان طبيعيا عند من أشرق نور الإسلام في قلوبهم واهتدوا بهديه، فقد تجلى هذا الأثر في ألفاظهم ومعانيهم التي تشعّ بحب الشهادة، ونصرة رسول الله، والجهاد في إعلاء راية الحق، فهذا عبد الله بن الزبعري الذي يتعذر للنبي صلى الله عليه وسلم بعد أنْ هجاه، معلنا إسلامه:

- منع الرقاد بلابل وهمـــــــوم والليل معتـــــــلج الرواق بهيم

[1] – ابن رشيق، العمدة، مرجع سابق، ج1، ص12.

- ممّا أتاني أنّ أحمد لامـــــــني فيه فبـــــــتّ كأني محـــموم
- يا خير منْ حملت على أوصالها عيرانة سرح اليـــــــدين رسوم
- إني لمعتذر إليـــــك من الذي أسديت إذ أنا في الضـلال أهيم
- أيام تأمرني بأغوى خـــــــطة سهم وتأمـــــــــرني بها مخزوم
- فاغفر فدى لك والدي كلاهما ذنبي فإنـــــــــك راحم مرحوم.[1]

لقد تسرب لهؤلاء أسلوب القرآن ولم يحفظوه، ولم يتعبدوا به ولكنهم سمعوه وتناقلوه، فهذا كعب بن زهير لما دخل الإيمان في قلوبه، وتمسّك بحب الرسول صلى الله عليه وسلم، راح ينشد قائلا:[2]

- بانت سعاد فقلبي اليوم متبول متيـــــــــم إثرها لمْ يفد مكبول
- وما سعاد غداة البين إذْ رحلوا إلا أغن غضيض الطرف مكـحول.

إلى غاية قوله:[3]

- أنبئت أنّ رسول الله أوعـــدني والعفـو عند رســـول الله مأمول
- مهلا هداك الذي أعطاك نافلة القرآن فيه مواعـيظ وتفصـــــيل

[1]– ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2001، ص.94

[2]– وهيب طويس، نصوص مختارة من الأدب الإسلامي والأموي، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، دمشق، 1993، ص27

[3]– المرجع نفسه، ص34.

- لا تأخذني بأقوال الوشـــاة ولم أذنب وإنْ كثرت فيّ الأقاويل

والملاحظ في المديح، أنّ الشعراء يمدحون الرسول الكريم صلواة الله عليه بالشجاعة والسعة والكرم والبطش بالأعداء والوفاء بالعهود، وقد اشتهر كعب بن زهير ببردته التي نظمها في مديح الرسول، إذْ يفتتحها مستطردا في الغزل، ووصف الناقة كما في لقصيدة الجاهلية حتى إذا استوفى في ذلك أخذ يعتذر إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم، فسمعها الرسول وأجاز عليها، على أنّ النبي صلى الله عليه وسلم كان بحاجة إلى من يسانده بلسانه ويردّ على الشعراء الكفار الذين كانوا يؤذونه بشعرهم من أمثال: أبو سفيان بن الحارث، وكعب بن الأشرف...وغيرهم.

شعر الفتوح:

شعر الفتوح هو شعر المحاربين من العرب المسلمين في فترة مشرقة من فترات تاريخهم، وهي الفترة التي تزخر بأسمى المشاعر الروحية الإسلامية؛ حيث تجلّى فيها أثر الإسلام عقيدة وفكرا في نفوس العرب، وهو الشعر الذي يهدف إلى الإشادة بإقدام وشجاعة الجند أمام قسوة المعارك وضراوة القتال،[1] كما أنّه يصور الانقلاب الهائل الذي أحدثه الإسلام عن طريق الارتقاء بالنوازع الوجدانية القبلية والفردية الضيقة إلى وجدان متوحّد من أجل هدف نبيل: ﴿...واذكروا نعمة الله عليكم إذْ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا﴾[2]

[1]– ينظر، النعمان عبد المتعال القاضي، شعر الفتوح الإسلامية في صدر الإسلام، الدار القومية للطباعة والنشر، بيروت، 1965، ص.241

[2]– آل عمران، الآية 103.

أغراض شعر الفتوح:

الحنين: إنّ أوّل المواضيع الجديدة في شعر الفتوح هو ما اصطلح عليه النقّاد شعر الحنين، وهو ذلك الشعر الذي يعبّر عن أشواق الشاعر التي كانت تملأ جوابه حنينا، والمواجع التي كانت تلدغ كبده أسى نتيجة بعده عن وطنه.

الفخر بالانتصارات: ولقد كان رسوخ المعتقد في نفوس الشعراء يدعوهم إلى التوكل على الله، والثقة به، ورجاء النصر لن يفارقهم ما داموا متوكلين على خالقهم غير آبهين بالأعداء بكثرة عددهم وعتادهم، فهذا حسان ين ثابت يصوّر غزوة بدر إذ كان النصر حليفهم رغم كثرة عدد المشركين:

- فما نخشى بحـــول الله قوما وإن كثروا وأجمــعت الزحوف
- إذا ما ألبوا جمـــــعا علينا كفانا حـــدّهم رب رؤوف
- سمونا يوم بدر بالعـــــالي سراعا ما تضعضـعنا الحتوف
- فلم تر عصبة في الناس أنكى لمن عادوا إذا لحقت كشوف
- ولكنا توكـــلنا وقلـــــنا مآثرنا ومعقلنا الســـيوف
- لقيـــــــناهم بها لما سمونا ونحن عصـــابة وهم ألوف[1]

[1]– حسان بن ثابت، الديوان، ص134، 135.

أبانت هذه الأبيات عن شدَّة موقعة بدر، وما حدث فيها من قتل سادة قريش وفرسانهم فقد تركوا مجندلين في أرض المعركة والطير تحوم فوقهم في مشهد يدلُّ على بسالة المجاهدين من أعدائهم .ولا غرابة في ذلك فقد كانت التَّضحية والفداء تتقدمان تلك المعركة.

- **الوصف**: صور الشعراء المعارك والأحداث بكل صدق وحماس، إذ تحمل قصائدهم الشعرية معاني التَّضحية والفداء، والرَّغبة في الجهاد في سبيل الله صفّا واحدا، ونبذ الهيبة من الأعداء مهما بلغوا من الكثرة في العدد والعتاد، وهذه العزيمة الصادقة أبرزتها كثير من القصائد الشعرية التي تناولت الغزوات، ووصفت ما دار فيها من قوَّة المواجهة بين الجيشين، ففي وصف غزوة بدر يشير حسان بن ثابت إلى عظم قدرة الله تعالى، وكيف أنه نصر جنده في تلك الموقعة، وخذل المشركين المعاندين، الذين تكبَّروا وتجبَّروا على دعوة الحقِّ، فأمهلهم الله وأخذهم أخذ عزيز مقتدر، وفي ذلك يقول: [1]

- وخبر بالذي لا عيب فيه بصدق غير إخبـــار الكذوب
- بما صنع المليك غداة بدر لنا من المشـــركين من النصيب
- غداة كأن جمـــعهم حراء بدت أركانه جنـــــح الغروب
- فلاقيـــــناهم منّا بجمع كأسد الغاب مـــــنمرد وشيب
- أمام محمّـــــد قد آزروه على الأعداء في وهـج الحروب

[1] – حسان بن ثابت، الديوان، ص135.

- بأيديهم صوارم مرهفات وكل مجرب خاضي الكـــعوب
- فغادرنا أبا جهل صريعا وعتبة قد غادرنا بالجبـــــوب
- وشيبة قد تركنا في رجال ذو يحسب إذا انتسبوا حسيب

لا غرو أنّ شعر الفتوح، وما قيل فيها من أشعار، وما حفل به من ردود على شعراء المشركين مرآة عاكسة عن روح الحماسة والعزيمة، والحرص على عن الاسلام، ومنافحة خصومه، والتصدي لهم في كل الأشعار التي نظموها من أجل الإساءة إلى الدَّعوة الإسلاميَّة، غزوات اتسم فيها الشعر بالكثرة لما شهدته من أحداث جعلت الشعر يستنهض الهمم، ويقوي العزائم، ويشير إلى ما ينشده المسلمون من النصر أو الشهادة في سبيل الله، حيث مجّد الشعراء هذه الفتوح وأبانوا عن عظمتها وأهميتها ممّا يدل على براعة الشعر الإسلامي في جانب الغزوات وظهوره بشكل ملموس.

وتأسيسا على ما سبق، نقول أنّ الإسلام طبع على الناس حياة الجادة، فهجرت أغراض الشّعر التي كانت متداولة في الجاهلية كالغزل الماجن، والهجاء الفاحش، والمدح الكاذب، ووصف الخمر، في حين أقبلوا في أشعارهم على تأييد الدعوة الإسلامية، ومدح الرسول صلى الله عليه وسلم والردِّ على أهاجي المشركين، والدعوة إلى الجهاد، ورثاء الأبطال والحث على نشر الإسلام والفتوح، وبذلك يكون الشّعر قد أدّى الدور المنوط به في عصر صدر الإسلام.

1- القرآن الكريم، سورة العمران.

قائمة المصادر والمراجع:

1-حسان بن ثابت، الديوان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2 ، 1994.

2-ابن رشيق، العمدة، ج1، مرجع سابق.

3-ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2001،

4-مصطفى السيوفي، تاريخ الأدب في صدر الاسلام، الدّار الدولية للاستثمارات الثقافية، القاهرة، مصر، ط1، 2008.

5-النعمان عبد المتعال القاضي، شعر الفتوح الإسلامية في صدر الإسلام، الدار القومية للطباعة والنشر، 1965.

6-نايف معروف، الأدب الإسلامي في عهد النبوة وخلافة الراشدين، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط 2، 1998.

7-وهيب طويس، نصوص مختارة من الأدب الإسلامي والأموي، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، دمشق، 1993.

المحاضرة الخامسة

المراثي النبوية.

محتوى المحاضرة:

- ✓ الرثاء لغة واصطلاحًا
- ✓ المراثي النبوية
- ✓ نماذج شعرية من رثاء الرسول صلى الله عليه وسلم
- ✓ الخصائص الفنية للمراثي النبوية

لا مناص أنّ الرثاء من الأغراض الشعرية البارزة في الشعر العربي، موّغل في القدم، بيد أنّه كان في العصر الجاهلي يدور موضوعه حول ندب الموتى، والوقوف على ذكر خصالهم ومناقبهم والثناء على مزاياهم ولا ريب في أن الرثاء قد تطور عن تعويذات، كانت تقال للميت على قبره ، حتى تطمئن روحه لحدها، ولعل أقدم صور الندب والنوح في الشعر العربي هي صور ندب الأقارب والأهل والخلان، ولنا مثال في ذلك عند الشاعرة الخنساء التي اقترن اسمها بهذا الغرض الشعري، فقد قتل أخويها" صخر "و"معاوية "فانفطر قلبها لشدة المصيبة وهول الفاجعة. على أنّ شعر المراثي النبوية قد استحدث في عصر صدر الاسلام نتيجة تعلق الشعراء برثاء النبي محمد صلى الله عليه وسلم، فكان شعرهم معبّرا عن عظم المصيبة في فقده وخسارة الأمّة بفراقه.

الرثاء لغة: جاء في المعجم المحيط " رثى الميت رثيا، ورثاءً، ورثاية، ومرثاة، ومرثية: بكاه بعد موته وعدّد محاسنه. ويقال: رثاه بقصيدة، ورثاه بكلمة ...ورثاه: مدحه بعد موته "[1] والرثاء في عمومه ثناء على المرثي كما المدح ثناء على الممدوح فكلاهما يتضمنان معنى الإعجاب وتعداد المآثر كالكرم والنخوة والمروءة وهنا موقع اللبس لذلك وجب علينا تبين إشكالية مصطلح الرثاء.

اصطلاحا:

رغم تعدد هذه المفاهيم اللغوية إلا أن معنى الرثاء اللغوي لا يخرج من مدح بعد الموت وتعداد لمحاسن الميت ومناقبه تخفيفا للوجع والتحسر من جرّاء الأحبة، وفي هذا الصّدد، يبين قدامه بن جعفر الفرق بين الرثاء والمدح بقوله":ليس بين المرثية و المدحة فصل إلا أن يذكر

[1]– ابراهيم أنيس وآخرون، المعجم المحيط، مرجع سابق، ص.329

في اللفظ ما يدل على أنه لهالك، مثل:كان و تولى وقض نحبه .وما أشبه ذلك و هذا ليس يزيد في المعنى ولا ينقص منه لأن تأبين الميت إنما هو بمثل ما كان بمدح في حياته[1]"

ممّا تقدم، نقول أنّ الرثاء غرض شعري تبعته فاجعة الموت بعزيز رحل، أو عظيم مفتقد، وقد عرفه العرب منذ عصر ما قبل الإسلام حتى هذا العصر إذ كان النساء والرجال جميعا يندبون الموتى وكذلك يقفون على قبورهم مؤنبين خصالهم والتفكير في مأساة الحياة وبيان الإنسان وضعفه أمام الموت وذلك مصير محتوم ويعبر الشاعر عن حزنه وولعه لفقدان أغلى ما يملك ويذكر في الأبيات محاسن هذا الشخص.

وفي غمرة ذلك، نجد أنواعا ثلاثة في هذا الغرض الشعري: الندب، والتأبين والعزاء، " أما الندب فبكاء الأهل والأقارب حين يعصف بهم الموت فيئن الشاعر ويتفجع، إذ يشعر بلطمة مروعة تصوب إلى قلبه فقد أصابه القدر في ابنه أو في أبيه أو في أخيه وهو يترنح من هول الإصابة ترنح الذبيح فيبكي بالدموع الغزار وينظم الأشعار يبث فيها لوعة قلبه وحرقته"[2] أما التأبين فهو عند الزمخشري " ... مدحه وعد محاسنه وهو من باب التفزيع، وقد غلب في مدح النادب، تقول : لم يزل يقرظ أحياكم ويؤبن موتاكم."[3] فالتأبين هو مدح لخصال الميت

وليس التأبين نواحا ولا نشيجا على هذا النحو بل هو أدنى إلى الثناء منه إلى الحزن الخاص ومن هنا كان التأبين " ضربا من التعاطف الاجتماعي يتجاوز الشاعر فيه حزنه إلى التعبير

[1] – قدامه بن جعفر، نقد الشعر، تح: عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د ط، د ت، ص118.

[2] – الرثاء ، شوقي ضيف ، دار المعارف، القاهرة، ط 4، ص5

[3] – الزمخشري، أساس البلاغة ، دار صادر، بيروت ، ص10

عن الحزن الجماعي ... ولذلك يسجل فضائله ويلح في هذا التسجيل وكأنه يريد أن يحفرها في ذاكرة التاريخ حفرا حتى لا تنسى على مر الزمن؛"[1] فهو بهذا المعنى أقرب إلى المدح منه إلى الرثاء رغم أن الممدوح ميت فتعداد خصاله والثناء عليه وكذا تخليدها يعد ضربا من المدح، أمّا العزاء فهو مرتبة عقلية فوق مرتبة التأبين وهي عند الأبشيهي " التصبير وذكر ما يسلي صاحب الميت ويخفف حزنه ويهون مصيبته وهي مستحبة ، فإنها مشتملة على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر."[2] فالتعزية تحمل فكرة الاقتناع بالموت لما لها من دلالات عميقة كما تحمل معاني التسليم بقضاء الله والصبر طلبا للأجر، إذ هي معان إسلامية حث عليها ديننا الحنيف.

المراثي النبوية:

لما لحق الرسول صلى الله عليه وسلم بجوار ربّه، وأفل شمس الرسالة، وتسرّب النبأ الفادح، وتسلّل الفزع والهلع في قلوب المسلمين غير مصدقين بموت النبي صلى الله عليه وسلم، ولم تكن لتطمئن قلوبهم لولا تمسكهم بكتاب الله واستحضار آي القرآن ﴿ وما محمّد إلاّ رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضرّ الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين﴾[3] وقوله تعالى: ﴿إنّك ميت وإنّهم ميتون﴾[4] وفي خضم ذلك فزع المسلمون لسماع هذا النبأ الذي نزل كالصاعقة على قلوبهم،

[1] – الزمخشري، أساس البلاغة، المرجع السابق، ص.6

[2] –الأبشيهي، المستطرف من كل مستظرف، تح: محمد خير طعمه الحلبي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ص 503.

[3] – آل عمران، الآية 144.

[4] – الزمر، الآية 30.

ومن ثمّ أجهشت قرائح الشعراء معبرةً عن مشاعر أصحابها الحزينة ومفصحة عن لوعة قلوبهم، فالمراثي النبوية هي كلّ" شعر قيل في وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم حزنا عليه، أو ثناء، أو ترحّما، أو غير ذلك من معاني الرثاء."[1] فهذا حسّان بن ثابت يرثيه في عدّة قصائد نري فيها لوعته ووجده ويبكيه بعبارات حارقة مبكية وألفاظ محزنة مشحونة بالتحسّر والتفجّع ويصوّر نفسه وعيناه كأنّما كحلت بالسهر والأرق والدمع جزعاً علي خير من وطئ الأرض الذي أصبح ثاوياً التراب في يوم الاثنين فظلّ بعد وفاته متبلّداً، فهو يتمنّي ألا يولد ولا يعيش بعد النبي راجياً أنْ تجمعه المنية مع النبي في جنة الفردوس ويرسم لنا فداحة الأمر لأنصار الرسول، فيقول: [2]

- ما بالُ عَيني لا تَنامُ كَأَنَّـــما كُحِلَت مَآقيها بِكُـــحلِ الأَرمَدِ
- جَزَعاً عَلى المهدِيِّ أَصبَحَ ثاوِياً يا خَيرَ مَن وَطِئَ الحَصى لا تَبعُدِ
- جَنبي يَقيكَ التُربَ لَهفي لَيـتَني غُيِّبتُ قَبلَكَ في بَقيـــــعِ الغَرقَدِ
- أَأُقيمُ بَعدَكَ بِالمَدينَةِ بَينـــَهُم يا لَهفَ نَفسي لَيـــــــتَني لَم أولَدِ
- بِأَبي وَأُمّي مَن شَهِـدتُ وَفاتَهُ في يَومِ الاِثنَينِ النَبِيُّ المهـــــتَدي
- فَظَلِلتُ بَعدَ وَفاتِهِ مُتَـــلَدِّداً يا لَيتَني أُسقيتُ سَمَّ الأَســـــوَدِ
- أَو حَلَّ أَمرُ اللَهِ فيـنا عاجِلاً مِن يَومِنا في رَوحَـــةٍ أَو في غَدِ

[1] – ابن رشيق، العمدة، تح: عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ط1، 2001، ص.166

[2] – حسان بن ثابت، الديوان، ص65، 66.

- فَتَقومُ ساعَتُنا فَنَـــــلقى طَيِّباً مَخصاً ضَرائِبُـــــهُ كَريمَ المِحتِدِ
- يا بِكرَ آمِنَةَ المبـــــــارَكَ ذِكرُهُ وَلَدَتكَ مُحصَـنَةٌ بِسَعدِ الأَسعَدِ
- نوراً أَضاءَ عَلى البَـــــرِيَّةِ كُلِّها مَن يُهدَ لِلنورِ المبـــــارَكِ يَهتَدِ
- يا رَبِّ فَاجمَعنا مَعاً وَنَبِـــــيَّنا في جَنَّةٍ تُنبي عُيونَ الحُســـــدِ
- في جَنَّةِ الفِردَوسِ وَاكتُبـــــها لَنا يا ذا الجَلالِ وَذا العُلا وَالسُؤدُدِ
- وَاللَهِ أَسمَعُ ما حَيِـــــيتُ بِهالِكٍ إِلّا بَكَيـــــتُ عَلى النَبِيِّ مُحَمَّدِ
- يا وَيحَ أَنصارِ النَبِيِّ وَرَهـــــطِهِ بَعدَ المـــغَيَّبِ في سَواءِ الملحَدِ
- ضاقَت بِالأَنصارِ البِلادُ فَأَصبَحوا سوداً وُجـــوهُهُمُ كَلَونِ الإِثمِدِ
- وَلَقَد وَلَدناهُ وَفينا قَبرُهُ وَفُضـولَ نِعمـــــــــتِهِ بِنا لَم نَجحَدِ
- وَاللَهُ أَكرَمَـــــــنا بِهِ وَهَدى بِهِ أَنصارَهُ في كُلِّ ساعَةِ مَشـــهَدِ
- صَلّى الإِلَهُ وَمَن يَحُـــفُّ بِعَرشِهِ وَالطَيِّـــبونَ عَلى المبارَكِ أَحمَدِ

ولحسّان بن ثابت قصيدة دالية طويلة في رثاء النبي صلى الله عليه وسلم:[1]

- بطيبةَ رسمٌ للرســـولِ ومعـــهدُ منيرٌ، وقد تعفو الرســـومُ وتهمدُ
- ولا تنمحي الآياتُ من دارِ حـــرمة بها مِنْبَرُ الهادي الذي كانَ يَصْعَدُ

[1]– حسان بن ثابت، الديوان، ص60، 61، 62، 63،64.

- ووَاضِـــحُ آياتٍ، وَبَاقي مَـــــعَالِمٍ وربعٌ لهُ فيهِ مصـــــلىً ومسجدُ
- بها حجراتٌ كانَ ينـــزلُ وســطها مِنَ الله نورٌ يُسْتـــــضَاءُ، وَيُوقَدُ
- معالمُ لم تطمسْ على العـــهدِ آيها أتَاهَا البِلَى، فالآيُ مـنها تَجَدَّدُ
- عرفتُ بها رسمَ الرسولِ وعـــــهدهُ وَقَبْرَاً بِهِ وَارَاهُ في التُّـــرْبِ مُلْحِدُ
- ظللتُ بها أبكي الرسولَ، فأسعدتْ عُيون، وَمِثْلاها مِنَ الجَفْنِ تُسعدُ
- تذكرُ آلاءَ الرســــــولِ، وما أرى لهَا مُحـصِياً نَفْسي، فنَفسي تبلَّدُ
- مفجعةٌ قدْ شفها فقدُ أحـــــمدٍ فظلتْ لآلاء الرســــولِ تعـــددُ
- وَمَا بَلَغَتْ منْ كلّ أمْرٍ عَشـــــيرَهُ وَلكِنّ نَفسي بَعْضَ ما فـــيهِ تحمَدُ
- أطالتْ وقوفاً تذرفُ العينُ جهدها على طللِ القــبرِ الذي فيـــهِ أحمدُ
- فَبُورِكتَ، يا قبرَ الرّســولِ، وبورِكتْ بِلاَدٌ ثَوَى فيهَا الرّشِـــيدُ المسـَــدَّدُ
- وبورِكَ لحدٌ منكَ ضـــمنَ طيباً عليهِ بناءٌ من صفـــيحٍ، منـــضدُ
- تهيلُ عليهِ التـــــربَ أيدٍ وأعينٌ عليهِ، وقدْ غارتْ بذلـــكَ أسـعدُ
- لقد غَيّبوا حِلْماً وعِلْـــــماً وَرَحمةً عشـــيةَ علـــوهُ الثرى ، لا يوسدُ
- وَرَاحُوا بحُزْنٍ ليس فيهِمْ نَبـــيُّهُمْ وَقَدْ وَهَنَتْ منهُمْ ظـــهورٌ، وأعضُدُ
- يبكونَ من تبكي السمـــواتُ يومهُ ومن قدْ بكتهُ الأرضُ فالناس أكمدُ

- وهلْ عـــــدلتْ يوماً رزيةُ هالكٍ رزيةَ يومٍ ماتَ فـــــيهِ محـــمدُ
- تَقَطَّعَ فيهِ منزِلُ الوَحْيِ عَـــنهُمُ وَقَد كان ذا نورٍ، يَغورُ ويُنـــْجِدُ
- يَدُلُّ على الرّحمنِ مَنْ يقتــَدي بِهِ وَيُنْقِذُ مِنْ هَوْلِ الخَـــزَايَا ويُرْشِدُ
- إمامٌ لهمْ يهديهمُ الحـــقَّ جاهداً معلمُ صدقٍ، إنْ يطيعوهُ يسعـتدوا
- عَفُوٌّ عن الزّلاّتِ، يَقبلُ عُـذْرَهمْ وإنْ يحسنوا، فاللهُ بالخيـــرِ أجودُ
- وإنْ نابَ أمرٌ لم يقوموا بحمـدهِ فَمِنْ عِنْـــــدِهِ تَيْسِيرُ مَا يَتَشـَدّدُ
- فَبَيْنَا هُمُ في نِعْمَةِ الله بيْنَـهُمْ دليلٌ به نَهْجُ الطّريقَةِ يُقْصَـــدُ
- عزيزٌ عليْهِ أنْ يَحِيدُوا عن الهُـدَى حَريصٌ على أن يَستقِيموا ويَهْتَدوا
- عطوفٌ عليهمْ، لا يثني جناحـهُ إلى كَنَـــفٍ يَحْنو عليهم وَيَمْـــهِدُ
- فَبَيْنَا هُمُ في ذلكَ النّورِ، إذْ غَدَا إلى نُورِهِمْ سَهْمٌ من المَوْتِ مُقصِدُ
- فأصبحَ محموداً إلى اللهِ راجـعاً يبكيهِ جفنُ المرسلاتِ ويحـــمدُ
- وأمستْ بِلادُ الحَرْم وَحشاً بقاعُها لِغَيْبَةِ ما كانَتْ منَ الوَحْيِ تعهدُ
- قِفاراً سِوَى مَعْمورَةِ اللَّحْدِ ضَافَها فَقِيدٌ، يُبَكّيـــهِ بَلاطٌ وغَرْقـــدُ
- وَمَسْجِدُهُ، فالموحِشاتُ لِفَـــقْدِهِ خلاءٌ لهُ فيهِ مقـــامٌ ومقـــعدُ
- وبالجمرةِ الكبرى لهُ ثمّ أوحشتْ دِيارٌ، وعَرْصَاتٌ، وَرَبْعٌ، وَمَوْلِـدُ

- فَبَكّي رَسولَ الله يا عَينُ عَبْـرَةً ولا أعرفنـــكِ الدهرَ دمعكِ يجمدُ
- ومالكِ لا تبكينَ ذا الــنعـــمةِ التي على الناسِ منها سابغٌ يتـغمدُ
- فَجُودي عَلَيْهِ بالدّموعِ وأعْــوِلي لفقدِ الذي لا مثــلهُ الدهرِ يوجدُ
- وَمَا فَقَدَ الماضُونَ مِثْلَ مُحَـــمّدٍ ولا مثلهُ، حتى القيـــامةِ ، يفقدُ
- أعفَّ وأوفى ذمةً بعـــدَ ذمةٍ وأقْرَبَ مِنْهُ نائِلاً، لا يُنَـــكَّـــدُ
- وأبذلَ منهُ للطـــريفِ وتالدٍ إذا ضَنّ معطاءٌ بما كانَ يُتـــلِدُ
- وأكرمَ حياً في البيوتِ، إذا انتمى وأكـــرمَ جداً أبطحياً يســـودُ
- وأمنعَ ذرواتٍ، وأثبـــتَ في العلى دعائمَ عزٍّ شاهقـــاتٍ تشـــيدُ
- وأثْبَتَ فَرْعاً في الفُـــرُوعِ وَمَنْبِتاً وَعُوداً غَداةَ المزْنِ، فالعُـــودُ أغيَدُ
- رَبَاهُ وَلِيداً، فَاسْتَـتَمَّ تَمامَهُ على أكْرَمِ الخيرَاتِ، رَبٌّ مُمجـــــدُّ
- تَنَاهَتْ وَصَاةُ المسْلِمـــينَ بِكَفّهِ فلا العلمُ محبوسٌ، ولا الرأيُ يفـــندُ
- أقُولُ، ولا يُلْفَى لِقَـــوْلي عَائِبٌ منَ الناسِ، إلا عازبُ العقلِ مبعدُ
- وَلَيـــــسَ هَوَائي نازِعاً عَنْ ثَنائِهِ لَعَلّي بِهِ في جَنّةِ الخُلْدِ أخْلُـــدُ
- معَ المصطفى أرجو بذاكَ جوارهُ وفي نيلِ ذاك اليومِ أسعى وأجهدُ

ولم يكن حسان ين ثابت لوحده ممن أجهشت قرائحهم ببكاء النبي، فهذا كعب بن مالك هو الآخر يصور هذه الفاجعة وهذا الكمد بقوله:[1]

- وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ألا انه النبي إلى العـــالمين
- ألا انع النبي لأصـــــــحابه جميعاً ولا سيما المؤمـــنين
- ألا انع النبي إلى مـــن هدى وأصحاب أصحابه التابعين
- لفقد النبي إمام الهـــــدى وفقد الملائكة المـــــنزلين

وفي هذا الصّدد، نشير إلى أن هناك أشعار كثيرة في رثاء الرسول صلى الله عليه وسلم، لا عد ولا حصر لها، إذ أن موته لم يكن بأمر هين، فكان مصاب للمسلمين أجمعين حينها، فرثى الصحابة والأحبة، وبكى كل منهم بكاء الفاقد الحزين.

-الخصائص الفنية في المراثي النبوية:

- المعاني الاسلامية: لقد أثر الإسلام في المراثي، فقد اكتسبت المرثية لغات كثيرة، فعقيدة الإسلام بيوم الحساب والحياة الباقية فتحت أفقاً آخر للشاعر يشرب من منهلها فشرع يتحدث عن الجنّة ونعيمها ودرجاتها، والنار وسعيرها ودركاتها، فالصلاة، والثواب والرحمة والشفاعة، والملائكة والعرش والحشر، وغير ذلك ممّا لا يخفي أثره، وإنّ الجهاد الإسلامي ساهم في شيوع الألفاظ الإسلامية الكثيرة تتعلق بالموت، وإنّ التوجّه الإسلامي أثر

1- سامي مكي العاني :ديوان كعب بن مالك الأنصاري، دار المعارف، بغداد، ط 1 ، 1977 ، ص 28

كبيراً في شيوع الألفاظ المدنية والحضارية .وفي المقابل نرى تراجعاً واضحاً وانحساراً بيناً في مفردات المرثية الجاهلية، وبالإسلام هدمت أسطورة الدهر، وشكوي من منونها وريبها، كما أنّ العرب تخلّصوا من الهام والصدي والبلية، وحلّت محلّها مفردات الصبر والقضاء والقدر والإيمان .وإنّ عموم الشعر في صدر الإسلام قد اتّجه نحو الليونة والسهولة والوضوح متأثراً بأسلوب القرآن الكريم.

– اللّغة: من أهم المواصفات التي ميزت اللّغة في رثاء سيد الخلق التكرار اللفظي والتكرار المعنوي؛

إذْ نلفي أنّ كلمة " بكى " تكررت ثلاث مرّات وكان الشاعر لا يجد متنفسا في هذا الجو الكئيب من غير البكاء فهما جادت العين في البكاء فهي لا تستبني حق الحزن الذي حل بهم في الأرض والسماء بكت لفقدان المصطفى، وفي شعر كعب بن مالك يتجلى لنا هذا التكرار أيضا في قوله:

- وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ألا انه النبي إلى العـــالمين
- ألا انع النبي لأصـــــــحابه وأصحاب أصحابه التابعينا
- ألا انع النبي إلى من هــدى من الجن ليلة إذ تسمعونا

وفي ذلك دلالة على حبه للنبي وتأثره لفراقه وأنّه انتقل إلى جوار ربه وكلمة " نعى " ويظهر في هذه الأبيات أن فقد الرسول صلى الله عليه وسلم ليس بالأمر السهل فذلك يعني

فقد الوحي وما دام النبي صلى الله عليه وسلم قد التحق إلى الرفيق الأعلى فلا أمل بعد النور من النور الذي كان يملأ الكون ويشمل العالمين.

على أنّ هذه المراثي مرآة انعكست عليها مشاعر التفجع الشديد لفقد الحبيب المصطفى عليه الصلاة والسلام، وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على مكانته السامية في قلوب المسلمين فموته أفزعهم لأنهم اعتبروه ركيزة من ركائز الإسلام وانه أخرجهم من ظلمات الجاهلية إلى نور الإسلام، وعموما فإنّ ما ألفيناه في شعر المراثي النبوية قد قام على التسليم بقضاء الله و قدره لارتباط الموت عندهم بالشهادة و الثواب في الآخرة لذلك جاء رثاؤهم ذا بعد انفعالي، دلالة على حبهم لنبيهم ودلالة أيضا على صعوبة تكيفهم مع الفاجعة من خلال مشاعر الفقد والحسرة والخوف والضيق.

1- القرآن الكريم.

قائمة المصادر والمراجع:

2- ابراهيم أنيس وآخرون، المعجم المحيط، مرجع سابق.

3-الأبشيهي، المستطرف من كل مستظرف، تح: محمد خير طعمه الحلبي، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

4- حسان بن ثابت، الديوان.

5-ابن رشيق، العمدة، تح: عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ط1، 2001.

6-الزمخشري، أساس البلاغة ، دار صادر بيروت، د ت.

7- سامي مكي العاني :ديوان كعب بن مالك الأنصاري، دار المعارف، بغداد، ط 1 ، 1977

8-شوقي ضيف، الرثاء ، دار المعارف، القاهرة، ط 4

9- قدامه بن جعفر، نقد الشعر، تح: عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د ط، د ت.

المحاضرة السادسة

شعر النقائض

محتوى المحاضرة:

- ✓ النقائض لغة واصطلاحًا
- ✓ عوامل تطور شعر النقائض في العصر الأموي
- ✓ شعراء النقائض (الفرزدق، جرير، الأخطل)
- ✓ نماذج من شعر النقائض

حظيت الفنون الشعرية في العصر الجاهلي وعصر صدر الاسلام باهتمام الشعراء بالتفنن في نظم كل القوالب الشعرية، بيد أنّ فن النقائض تميز به العصر الأموي على وجه الخصوص وكان له نهضة فنية خاصة بعد فتور، باعتماده على فني الفخر والهجاء أكثر من غيره، وإزاء ذلك ظهرت ثروة لغوية أثْرت المعاجم بمادة غزيرة ممّا نتج عنه ذخيرة لغوية نافعة [1]

النقائض لغة: النقض لغة :"إفساد ما أبرمت من عقد أو بناء، ونقض البناء :هدمه . وناقضه في الشيء: خالفه .والمناقضة في القول :أن يتكلم بما يتناقض معناه، وكذلك المناقضة في الشعر ينقض الشاعر الآخر ما قاله الأول"[2] ومن ثمّ فإن المعنى اللغوي للنقائض قائم على الهدم والبناء.

النقائض اصطلاحا: وإذا جارينا المعنى الاصطلاحي للنقائض نجدها" أنْ يتجه شاعر إلى آخر بقصيدة هاجيا أو مفتخرا، فيعمد الآخر إلى الردّ عليه هاجيا أو مفتخرا ملتزما البحر والقافية والروي الذي اختاره الأول، ومعنى هذا أنّه لا بد من وحدة الموضوع فخرا أو هجاء أو سياسة أو رثاء أو نسيبا أو جملة من هذه الفنون المعروفة إذ كان الموضوع هو مجال المناقشة ومادة النقائض،"[3] وقد ارتكزت النقائض في العصر الأموي على غرض الهجاء تحديدا حيث كان لا يصبر على هجاء خصمه فيجيبه بقصيدة أخرى أكثر اقذاعا وافحاشا، ومن ثمّ، فالأصل في النقائض هو المقابلة والاختلاف؛ لأنّ الشاعر الثاني يجعل همّه أنْ يفسد على

[1] – ينظر،أحمد الشايب، تاريخ النقائض في الشعر العربي، مكتبة النهضة المصرية، ط 3، 1998، ص446.

[2]– ابن منظور، لسان العرب، (مادة) نقض، ج7، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، د ط، 1956، ص 242.

[3]– أحمد الشايب، تاريخ النقائض في الشعر العربي، ص3.

الشاعر الأول معانيه فيردها عليه إن كانت هجاء، ويزيد عليها مما يعرفه أو يخترعه، وإنْ كانت فخرا كذّبه فيها أو ردّها لصالحه هو، أو وضع إزاءها مفاخر لنفسه وقومه، والمعنى هو ركيزة النقائض ومحورها الذي تدور عليه؛ إذ يتخذ الشاعر عناصره من أحساب القبيلة والأنساب والأيام والمآثر .

عوامل تطوّر شعر النقائض في العصر الأموي:

لا غرو أنّ الدافع الرئيس لتطور شعر النقائض في العصر الأموي يعود عامل رئيس هو الصراعات السياسية والحزبية بين المسلمين، وقد تجلى طابع السخرية والفكاهة في شعر جرير والفرزدق والأخطل إلى الحد الذي شكلت مع(**جرير**) ظاهرة فنية جديرة بالدرس والتحليل تهدف إلى استبطان جوانبها النفسية والاجتماعية، وتحلل بواعثها الأصلية في نفسية الشاعر.

وفي هذا الإطار، اختلفت الأوضاع الحياتية والسياسية والاجتماعية في العصر الأموي، حيث استقر حال القبائل، وبدأت كل قبيلة تبحث عن أمجادها ومفاخرها ومآثرها، لتؤكد أفضليتها على القبائل الأخرى، بعدما توطدت مساكنهم، وبدأ كل من الشعراء بالمفاخرة بقبيلته وحسبه ونسبه، وآخر يسخر لضعف حسبه ونسبه وفقر قبيلته، وهدف الشعراء من المفاخرة بقبائلهم وأمجادها هو لفت اهتمام الأمويين نحوها، وتطور هذا الهدف حتى أصبح التعصب ملحوظاً، ولم يجد الشعراء جدوى لهذه العصبية لدى الدولة الأموية.

وقد يشكل العامل النفسي والعامل الاجتماعي لبعض الشعراء الفخر والتعالي والتحدي والشموخ لعراقة الأصل، ومنعة الأهل كالفرزدق، [1] حيث كان الشعراء يخوضون

[1] – ينظر: طه، نعمان أمين، جرير حياته وشعره، سلسلة نوابغ الفكر، دار المعارف، القاهرة، (د.ت)، ص 331

معارك كلامية تراق فيها الدماء، ويتصدون لنزاعات هم فيها ألسنة قبائلهم، والأسلحة المشرعة في وجه الأعداء بقصد الانتقام والتشفي والثأثر والاعتداء، فقد جبلت النفس العربية على محبة الفخر وظلت العصبية القبلية مستمرة حتى عظم نارها، وتطاير شررها في العصر الأموي، وبحسب رأي (**عوض العتري**) "كان نتاجها أن ظهر فن النقائض الذي تحول في العصر الأموي إلى فن دائم مستمر، احترف القول فيه ثلة من الشعراء، جاء في طليعتهم جرير، والفرزدق، والأخطل."[1] على أنه لم يقتصر فن النقائض على أعلامه المشهورين (**جرير والأخطل والفرزدق**)، وإنما شاع بين عدد غير قليل من الشعراء، لكن هؤلاء الثلاثة كانوا أشعر أهل عصرهم.

لا غرو أنّ صورة النقائض الفنية اكتملت على يد هؤلاء الفحول الشعراء وخبت حركة النقائض في العصر الأموي بموتهم.

خصائص شعر النقائض ومميزاته:

- التنوّع في الأغراض الشعريّة في القصيدة سواءً: هجاء، أو رثاء، أو مدح، أو وصف، وذلك سيراً على تقاليد القصيدة العربيّة التي تميّزت بتنقّلها من موضوع إلى آخر في القصيدة نفسها.

[1] – عوض بن إبراهيم بن خليف العتري، أساليب الإنشاء الطلبي، في شعر جرير –دراسة بلاغية نقدية–، رسالة ماجستير ، قسم البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلامي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 2010، ص1، 2.

- التأثّر بأسلوب المناظرة والّذي يعتمد على الجدل على ثقة بصحّة الموقف والحُجّة، ويعود هذا التأثر إلى تطوّر الحياة الفكريّة والعقليّة في البصرة، وتأثّر الشعراء بالعلماء والفقهاء المسلمين.
- التّكرار في معاني الهجاء أو الفخر.
- كثرة المعاني الجاهليّة في النّقائض الأمويّة
- تميّز النّقائض بأنّها قصائد طويلة تستوعب المعاني، وتكشف عن مثالب قبيلة الخصم وخِصالها، وتستقصي أحداث حياته وتنتقدها.
- غنى النّقائض بالمعاني اللّغوية، حتّى قيل: لولا شعر الفرزدق لضاع ثلث اللغة.
- اختلاف الشّعراء الثلاثة في طريقة التّعبير، فمنهم من اعتمد الخطاب المباشر، أو الحديث بلغة الجماعة الغائبين، أو بلغة الفرد.
- اعتماد الشّعراء على السّخرية في نقض الخصم، وهذا إن دلّ فيدلّ على تفتّح ذهن الشاعر العربيّ في استنباط الصّور وتبسيطها.

شعراء النقائض:

سعى شعراء النقائض لأن تكون قصائدهم مختلفة في مضامينها وأشكالها، ودعوى تحررها لم تكن في الجوهر سوى بحث عن التعدد والتنوع والتفرد في صيغها وتراكيبها ولغتها، فهذا المبتغى المختلف هو أفقها الشعري وفي هذا الصدد، استطاعت قصائد النقائض أن تؤصل هويتها في وسط احتدم فيه السجال بين الشعراء، في خضم ذلك سنقف عند لمحة موجزة من فطاحل الشعراء الذين خاضوا هذا المجال

الفرزدق:

"هو همّام بن غالب بن صعصعة ابن ناجية بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع بن دارم، الذي كنّي بأبي فراس، ولقّب بالفرزدق لجهامته وجهه وضخامته، ولد الفرزدق بالبصرة سنة 30هـ/641م ونشأ فيها وتجوّل في البادية فتطبّع بطباعها: من قوّة شكيمة، وغلظة وجفاف، وتعال على المجد، يعضده في ذلك شرف أصل وكرم محتد، فأبوه غالب سيّد بادية بن تميم، من الأجواد والأشراف...اشتهر الفرزدق بالنساء، فكان زير غوان ... وعاش حياته متنقلا بين الخلفاء والأمراء والولاة، يمدح واحدهم، ثمّ يهجوه، ثم يمدحه، وكان شديد التشيع لآل البيت، يجاهر بحبّه لهم ." [1] اشتهر بشعر المدح والفخر وشعر الهجاء، كان الفرزدق واسع الخيال، دقيق الملاحظة، جيد القصص، مما ساعده على أن يكون من ابرع الوصافين في العهد الأموي، أما موصوفاته فكثيرة، منها ما هو منتزع من البادية كالذئب، ومنها ما هو من حياة الحضر كالسفينة والجيش. ويصطبغ وصف الفرزدق أحيانًا بصبغة القصص الذي يحسن الشاعر سرده، كما يمتاز بالتقرب من الحيوان المفترس والعطف عليه، ففي وصفه للذئب يظهر استعدادًا لأن يلبس ذلك الوحش من ثيابه وأن يقاسمه زاده.

شعر الفرزدق فضلا عن قيمته الأدبية، ذو قيمة تاريخية كبرى، لأنه يطلعنا على نواح كثيرة من حياته وحياة خصومه، وعلى أخبار العرب وأيامهم وعاداتهم، وأوضاع الدولة الأموية وتصرف عمالها وولاتها، وعلى الفتوحات والجيوش وغيرها، هذا وقد اتسم الشاعر بنفسية متناقضة نراها في نزعاته السياسية والمعنوية والأخلاقية، فهو متقلب في عاطفته وإخلاصه ومتلون في

[1]-الفرزدق، الديوان، شرح وتقديم علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1987، ص5، 6.

رغباته ومنافعه، لذلك لا نكاد نلمس صدق العاطفة إلا في مدح آل البيت، أما في سواهم فيعمد الشاعر إلى الغلو والمداهنة ليغطي ضعف العاطفة.[1]

"مات الفرزدق سنة 114هـ/ 733م،"[2] تاركا ديوانا شعريا خالد، إذ يمتاز شعره بفخامة العبارة، وجزالة اللفظ، وكثرة الغريب من القول.

اقترن اسم جرير باسم الفرزدق، على أنه كل ما ذكر أحدهما إلا ويذكر الثاني؛ لاحتدام السجال بينهما في شعر النقائض، وتبادل الهجاء، ولا شك أنّ ذلك هو مكمن شعريّة فن النقائض، على أنْ يتفاعل الشاعر مع هذه التجربة تفاعلا فكرياً ووجدانياً، وكل ذلك كان يتطلب منه البحث الدائم عن لغة معبرة، وتوهج شعري خاص ووسائل تعبيرية وفنية حتى يستطيع مواجهة النزال والسجال والأفكار المتضاربة، وفي هذا الصدد نلفي جرير الذي لم يكن بمنأى عن هذا النزال.

جرير:

"هو جرير بن عطية الخطفى، وعطية اسم أبيه، وكان رجلا مضعوفا، والخطفى لقب جده حذيفة بن بدر بن يربوع... نشأ في اليمامة وفيها مات ودفن، وكانت نشأته في أسرة ليست على شيء من الجاه والشرف والثروة، وعلى ذلك فقد فاخر بها وبأبيه الشعراء الكثيرين الذين تعرضوا له بالهجاء...على أنه في فحشه وإقذاعه في هجائه، كان عفيفا في

[1]- الموسوعة العربية(Arab ncyclopedia)، المجلّد الرابع عشر، ذيل مدخل «الفرزدق»، ص 400

[2] – المرجع نفسه، ص7.

غزله، متعففا في حياته لا يعهر ولا يشرب الخمر...يستهل قصائده المدحية أو الهجائية بالغزل التقليدي."[1]

أول ما يطالعنا في أسلوب جرير، سهولة ألفاظه ورقتها وبعدها عن الغرابة، وهي ظاهرة نلاحظها في جميع شعره، وبها يختلف عن منافسيه الفرزدق والأخطل اللذين كانت ألفاظهما أميل إلى الغرابة والتوعر والخشونة. وقد أوتي جرير موهبة شعرية، وحسا موسيقيا، ظهر أثرهما في هذه الموسيقى العذبة التي تشيع في شعره كله. وكان له من طبعه الفياض خير معين للإتيان بالتراكيب السهلة التي لا تعقيد فيها، فكأنك تقرأ نثرا لا شعرا، ومن هنا نفهم ما أراده القدماء بقولهم: (جرير يغرف من بحر و الفرزدق ينحت من صخر)، وهذا القول يشير إلى ظاهرة أحرى في الشاعرين، وهي أن جريرا كان أكثر اعتمادا على الطبع من الفرزدق، وأن الفرزدق كان يلقى عناء شديدًا في صنع شعره.

جرير شاعر مطبوع، يجري في شعره على سجيته، لا يتعمل ولا يتكلف، وليس في شعره تعقيد ولا معاظلة بخلاف شعر الفرزدق، وحين يعمد إلى التصوير تأتي صوره بسيطة تمثل البيئة البدوية وتقل فيها الصور الحضرية، وهو يوشح شعره بالمعاني القرآنية فيكثر من ذكر الأنبياء وقصصهم.

وفي الجملة فإن جريراً شاعر مبرز في أكثر أغراض الشعر وأسلوبه يتسم بالسهولة مع جزالة اللفظ وحلاوة الديباجة.[2]

[1] – جرير، الديوان، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، د ط، 1986، ص5، 6.

[2] – الموسوعة العربية (Arab ncyclopedia)، مجلّد السابع، ذيل مدخل «جرير بن عطيّة»، ص 563.

لم يبق السجال بين جرير والفرزدق فقط، بل كان للأخطل باع كبير في هذا الفن، وكان في أغلب الأحيان يتعرض لجرير ويهجوه، أجود شعره على الإطلاق رائيتاه الشهيرتان وهما من عيون الشعر العربي، الأولى في هجاء القبائل القيسية، والأخرى في مدح عبد الملك بن مروان وبني أمية وذم خصومهم، وفيها يهجو جرير وقومه كليب بن يربوع.

الأخطل:

هو غياث بن غوث الصلت بن طارقة بن عمرو بن مالك بن جشم بن بكر بن حبيب بن تغلب الشاعر المشهور من الأراقم، ويكنى أبا مالك [1] والأخطل لقب غلب عليه، وجاء في طبقات فحول الشعراء لابن سلام:" وكان كعب سماه الأخطل، وذلك أنه سمعه ينشد هجاء فقال يا غلام، إنك لأخطل اللسان."[2] على أنّه كان شاعرا مصقول الألفاظ، حسن الديباجة، في شعره إبداع، اشتهر في عهد بني أمية بالشام، وأكثر من مدح ملوكهم، وهو أحد الثلاثة المتفق على أنهم أشهر أهل عصرهم، نشأ على المسيحية، في أطراف الحيرة (بالعراق)، واتصل بالأمويين فكان شاعرهم، وتهاجى مع جرير والفرزدق، فتناقل الرواة شعره، وكان معجباً بأدبه، كثير العناية بشعره ينظم القصيدة ويسقط ثلثيها ثم يظهر مختارها، وكانت إقامته طورا في دمشق مقر الخلافة من بني أمية، وحيناً في الجزيرة حيث يقيم بنو تغلب قومه.[3]

[1] – ينظر، خير الدين الزركلي، الأعلام، المجلد الثامن، دا صادر، بيروت، لبنان، ط 5، 1980، ص93.

[2] – محمد بن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، تح: محمود محمد شاكر، دار المدني، القاهرة، د.ت، ص262

[3] – ينظر، خير الدين الزركلي، الأعلام، ص123.

نظم الشعر صغيرا، ورشحّه كعب بن جعيل شاعر تغلب ليهجو الأنصار، فهجاهم وتعززت صلته ببني أمية بعد ذلك، فقرّبه يزيد، وجعله عبد الملك بن مروان شاعر البلاط الرسمي، يدافع عن دولة بني أمية، ويهاجم خصومها. أقحم نفسه في المهاجاة بين جرير والفرزدق حين فضّل الفرزدق على جرير، وامتدّ الهجاء بينه وبين جرير طوال حياته وقد جمع أبو تمام نقائض جرير والأخطل.

برع الأخطل في المدح والهجاء ووصف الخمرة، ويتهمه النقاد بالإغارة على معاني من سبقه من الشعراء، والخشونة والالتواء في الشعر والتكلّف أحيانا، وهو في نظرهم شاعر غير مطبوع بخلاف جرير، ولكنه واسع الثقافة اللغوية، تمثّل التراث الأدبي وأحسن استغلاله.

توفي الأخطل في السبعين من عمره سنة 92 هـ، الموافق عام 710م، في السنة الخامسة من خلافة الوليد بن عبد الملك. ولا تتوافر معلومات موثقة عن مكان وفاته، والأرجح أنه مات بين قومه في الجزيرة الفراتية. وقد مات على دينه المسيحية.[1]

نماذج من شعر النقائض:

يقول الفرزدق:[2]

- إنَّ الذي سَمَكَ السَّماءَ بَنَى لَنَا بَيْتًا، دَعَائِمُهُ أَعَزُّ وَأَطْوَلُ
- بَيْتًا بَنَاهُ لَنَا المَلِيكُ وَمَا بَنَى حَكَمُ السَّمَاءِ، فَإِنَّهُ لَا يَنْقُلُ
- بَيْتًا زُرَارَةُ مُحْتَبٍ بِفِنَائِهِ وَمُجَاشِعٌ وأَبُو الفَوَارِسِ نَهْشَلُ

[1] – الموسوعة العربية (Arab ncyclopedia)، مجلّد السابع، ذيل مدخل «الأخطل»، ص 563

[2] – الفرزدق، الديوان، ص491،490،489.

- لَا يَحْتَبِي بِفِنَاءِ بَيْتِكَ مِثْلُهُمْ، أَبَدًا، إِذَا عُدَّ الفَعــالُ الأَفْضَلُ
- مِنْ عِزِّهِم جَحَرَتْ كُلَيْبٌ بَيْتَهَا زَرْبًا، كَأَنَّــهُمْ لَــدَيْهِ الْقُمــلُ
- ضَرَبَتْ عَلَيْكَ العَنْكَبُوتُ بِنَسْجِهَا وَقَضَى عَلَيْكَ بِهِ الكِتَابُ المُنْزَلُ
- أَيْنَ الذِيْنَ بِهِــمْ تُــسَامِيْ دَارِمًا، أَمْ مَنْ إلى سَلَفــيْ طُهَيَّةَ تَجْعَلُ
- يَمْشُوْنَ فِيْ حَلَقِ الْحَدِيْدِ كَمَا مَشَتْ، جُرْبُ الجِمَالِ بِهَا الكُحَيْلُ المِشْعَلُ
- والمانِعُونَ، إِذَا النِّــسَاءُ تَرَادَفَــتْ، حَذَرَ السِّــبَاءِ جِمَالُهَا لَا تَرْحَلُ
- يَحْمِيْ، إِذَا اِخْتَرَطَ السُّيُوفُ، نِسَاءَنَا ضَرْبٌ تَخِرُّ لهُ السَّــواعِدُ أَرْعَلُ
- ومَــعَـصَّبٍ بالتَّـاجِ يَخْفِـقُ فَـوْقَـهُ خِرقُ المُلُوكِ لَهُ خَمِيسٌ جَحْفَـلُ
- مَلِكٌ تَسُـوقُ لَهُ الــرِّمَاحُ أَكُــفُّنَا، مِنْهُ نَعُلَّ صُــــدُورَهُنَّ وَنَنْهَلُ
- قَدْ مَــاتَ فِيْ أَسْــلَافِنَا، أَوْ عَـضَّهُ عَضْــبٌ بِرَوْنَقــهِ المُلُوكُ تُقَتَّلُ
- ولَنــــا قُـرَاسِيَةٌ تَظَـلُّ خَـوَاضِـعًا مِنْهُ، مَخَافَتَـهُ، القُــــرُومُ البُزَّلُ
- مُتَــخَمِّــطٌ قَطــــمٌ لَهُ عَــــادِيَةٌ فِيهَا الفَرَاقِدُ والسِّــمَاكُ الأَعْزَلُ
- ضَخْمُ المَنَاكِبِ تَحْتَ شَجَرِ شُؤُونِهِ، نَابٌ إِذَا ضَعَمَ الفُحُولَةَ مِقْصَلُ
- وَإِذَا دَعَوْتُ بَنِي فُقَــيْمٍ جَــــاءَنِيْ مَجْرٌ، لَهُ العَـدَدُ الذِيْ لَا يُعْدَلُ
- وإِذَا الــرَّبَائِعُ جَـاءَنِي دُفَّاعُــهَا مَوْجًا، كَأَنَّــهُمْ الجَــرَادُ المُرْسَلُ

- هَذَا وفِيْ عَـــــدَوِيَتِيْ جُرْثُومَةٌ صَعْبٌ مَنَاكِبُهَا، نِيَّافٌ، عَيْطَلُ
- وإِذَا البَرَاجِمُ بالقِــرُومِ تَخَاطَرُوا حَوْلِيْ، بِأَغْلَــبَ عِزُّهُ لَا يُنْــزَلُ
- وإِذَا بَذَخْتُ وَرَايَتِي يَمْشِي بِهَا سُفْيَانُ أَوْ عُدُسُ الفَعَالُ وَجَنْدَلُ
- الأَكْــثَرُونَ إِذَا يُعَدُّ حَصَاهُمْ، والأَكْـرَمُونَ إِذَا يُعَـــــدُّ الأَوَّلُ
- إِنَّ الزِّحَامَ لِغَيْرِكُمْ، فَتَحَيَّنُــوا وِرْدَ العَــشِّيِّ، إِلَيْهِ يَخْلُو المَنْهَلُ
- حُلَلُ المُلُوكِ لِبَاسُــنَا فِي أَهْلِنَا والسّـابِغَاتُ إِلى الوَغَى نَتَسَرْبَلُ
- أَحْـلَامُنَا تَزِنُ الجِبَـــالَ رَزَانَةً وَتَخَـالُنَا جِــنًّا إِذَا مَا نَجْـــهَلُ
- فَادْفَعْ بِكَفِّكَ، إِنْ أَرَدْتَ بِنَاءَنَا، ثَهْلاَنَ ذَا الهَضَبَاتِ هَلْ يَتَحَلْحَلُ
- وأَنَا ابْنُ حَــنْظَلَةَ الأَغَرُّ، وَإِنَّنِي فِيْ آلِ ضَبَةَ، لَلْمُـــعَمُّ المِخْوَلُ
- فَرْعَانِ قَدْ بَلَغَ السَّــمَاءَ ذُرَاهُمَا وإِلَيْــتهِمَا مِنْ كُلِّ خَوْفٍ يُعْقَلُ

يرد جرير على الفرزدق قائلا:[1]

- أَعْدَدْتُ لِلْشُـــــعَرَاءِ سُمًّا نَاقِعًا، فَســـــقَيْتُ آخِرَهُمْ بِكَأْسِ الأَوَّلِ
- لمَّا وَضَعْتُ عَلَى الفَرَزْدَقِ مَيْسَمِي وَضَعَا البَعِيْثُ جَدَعْتُ أَنْفَ الأَخْطَلِ

[1]- جرير، الديوان، ص357، 358.

- أَخْزَى الذِي سَمَكَ السَّمَاءَ مُجَاشِعًا وَبَنَى بِنَاءَكَ فِي الحَـــــضِيْضِ الأَسْفَلِ
- بَيْتًا يُخَمِّمُ قَيْنَكُـــمْ بِفِـــــنَائِهِ، دَنِسًا مَقَاعِدُهُ، خَبِيْـثَ المـــــدْخَلِ
- وَلَقَدْ بَنَـــيْتَ أَخَسَّ بَيْتٍ يُبْتَنَى فَهَـدَمْتُ بَيْـتَكَمْ بِمِثْـلِي يَـــــذْبُلِ
- إِنِّي بَنَـــــى لِيْ فِيْ المكَـارِمِ أَوَّلِيْ؛ وَنَفَـخْتَ كِيـــــرُكَ فِيْ الزَّمَانِ الأَوَّلِ
- أَعْيَتْكَ مَأْثَرَةُ القُيـــــــوُنِ مُجَاشِعٍ فَانْظـــــرْ لَعَـــلَّكَ تَدَّعِيْ مَنْ نَهْشَلِ
- وامْدَحْ سُـرَاةَ بَنِي فُقَيـــمٍ، إِنَّهُمْ قَتَـــلُوا أَبَاكَ، وَثَأْرُهُ لَمْ يُقـــــــتَلِ
- وَدَعِ البَرَاجِمَ، إِنَّ شِـــرْبَكَ فِيْهِمْ مُرٌّ عَـــــــوَاقِبُهُ، كَطـــــعْمِ الحَنْظَلِ
- إِنِّيْ انْصَبَبْتُ مِنَ السَّمَاءِ عَلَيْكُمْ حَتَى اخْتَـــــطَفْتُكَ يَا فَرَزْدَقُ مِنْ عَلِ

تأسيسا على ما سبق، نلفي أنّ النقائض لم تنشأ من فراغ، بل تطورت من فن الهجاء الجاهلي القديم، حيث كان الشعراء يهجون القبائل التي تناصبهم العداء، وفي الإسلام كذلك تهاجى شعراء المسلمين مع شعراء المشركين، ولكن عناصر هذا الهجاء في الجاهلية وصدر الإسلام كانت بسيطة لا تعقيد فيها، حيث لم يتقيد الشعراء بالرد على خصومهم بقصائد من نفس الوزن والقافية، وبنقض كل معنى من معاني هجاء خصومهم، وكان الهجاء يتوقف بتوقف الحرب، وفضلا عن ذلك نسجل أهم النقاط التي تطور شعر النقائض من بينها:

- في العصر الأموي تعقدت قصيدة الهجاء وتقيدت بقيود يلتزم بها الشاعر فلا يخرج عليها أبداً، ووجد هذا الهجاء لدى الناس ميولاً واستحساناً، حيث كانوا يلتفون

حول هذه الحلقات ليسمعوا الجديد من الهجاء والأخبار والنوادر، ويتحركون من شاعر لآخر ليهيجوا الحماس ويثيروا النفوس.

- أصبح هم الشاعر رضا الناس وإثبات تفوقه على خصمه الأمر الذي جعل هذا الهجاء يتحول إلى غرض جديد عُرف بالنقائض، وتحول من الهجاء الخالص إلى ضرب من ضروب الملاهي.

وفي هذا الصدد نلفي مجموعة من الشعراء نبغوا في هذا الفن: البعيث المجاشعي الدارمي، عمر بن لجأ التيمي، سراقة البارقي، الراعي النميري، مما وصل إلينا من نقائض العصر الأموي ويعد أشهر النقائض ما كان بين جرير والفرزدق والأخطل، وهؤلاء هم الشعراء الذين اكتملت صورة النقائض الفنية على أيديهم.

قائمة المصادر والمراجع:

1-أحمد الشايب، تاريخ النقائض في الشعر العربي، مكتبة النهضة المصرية، ط 3، 1998.

2-ابن منظور، لسان العرب، ج7، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، د ط، 1956.

3-جرير، الديوان، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، د ط،1986

4-خير الدين الزركلي، الأعلام، المجلد الثامن، دا صادر، بيروت، لبنان، ط 5، 1980

5-طه، نعمان أمين، جرير حياته وشعره، سلسلة نوابغ الفكر، دار المعارف، القاهرة، (د.ت).

6- عوض بن إبراهيم بن خليف العتري، أساليب الإنشاء الطلبي، في شعر جرير – دراسة بلاغية نقدية-، رسالة ماجستير، قسم البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلامي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 2010

7-الفرزدق، الديوان، شرح وتقديم علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1987.

8-محمد بن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، تح: محمود محمد شاكر، دار المدني، القاهرة، د.ت

9-الموسوعة العربيةArab ncyclopedia ، المجلّد الرابع عشر، ذيل مدخل الفرزدق

10- الموسوعة العربية (Arab ncyclopedia)، مجلّد السابع، ذيل مدخل «جرير بن عطيّة»

11- الموسوعة العربية (Arab ncyclopedia)، مجلّد السابع، ذيل مدخل «الأخطل»

المحاضرة السابعة

الشعر العذري والشعر العمري

محتوى المحاضرة:

- ✓ الغزل لغة واصطلاحًا
- ✓ تطور شعر الغزل
- ✓ الغزل العذري، خصائصه ومميزاته، نماذج شعرية
- ✓ الغزل العمري، خصائصه ومميزاته، نماذج شعرية

كان العصر الأموي عصر الفتوحات الذهبية، انطلقت فيه جحافل العرب نحو المدينة والعمران وانتقلت من شظف العيش إلى رغده المقرون بالأبهة والعظمة فكان لهذا الاحتكاك نتيجة ظاهرة؛ فتقدم الحضارة كان لها الأثر البالغ في إخراج البدوي من سذاجته، ومن ثم، ظهر على الشّعر ترف العصور ورخاؤه ومن بين الأغراض الشعرية التي تأثرت بذلك شعر الغزل.

الغزل لغة: جاء في لسان العرب" حديث الفتيان والفتيات. ابن سيده: الغزل اللهو مه النّساء... ومغازلتهن: محادثتهن ومراودتهن، وقد غازلها، والتغزل التكلف لذلك... وقد غزل غزلا وقد تغزل بها وغازلها وغازلته مغازلة ورجل غزل: متغزل بالنساء على النسب أي ذو غزل. "[1] ومن ثم، فهو الشعر الذي يُقَال في المرأة لوصفِها والتشبّب بِها.

اصطلاحا: الغزل هو أدب وجداني يعبر عن الأحاسيس في مجالات الحب، لا أدب وصفي يرسم المظاهر الخارجية، إنه استحضار لماض سعيد أو شقي، ترك في العين دمعة، أو في القلب لهفة[2] يعبّرُ فيها المحب عن مشاعره وأحاسيسِه وعواطفه الجيّاشة وانفعالاتِه، وغالباً يكونُ الشاعر صادقاً في حبّه، فتكون القصيدة نابعة من تجربته الخاصّة، فيظهرُ المحبّ صفات محبوبتِه الحسنة الخَلقية والخُلقية، كما أنه يصور وجدانه ومعاناتِه بصدق.

تطور شعر الغزل: كان الغزل من الفنون الضاربة في العصر الجاهلي؛ إذْ أنّ الشاعر الجاهلي تغزّل وبكى على الطلل وشبب بالمرأة وكان صادقا في غزله وبكائه مجيدا في التشبيب

[1]– ابن منظور، لسان العرب،مج: 11، مادة غزل، ص492

[2]– ينظر، جورج غريب :الغزل، تاريخه وأعلامه، دار الثقافة للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان(دط) (دت)، ص 9.

والوصف، لكنه لم يحسن تصوير عواطفه وما يشعر به من صبابة وألم، أو من أمل وارتياح، فاكتفى بذكر الدّيار بوصف الفراق ومن تحمل الأحبة على الفراق كقول طرفة بن العبد:

- لخولة أطلال ببرقة ثهمد تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد

أمّا في عصر صدر الاسلام فقد ضعف الغزل واتجه الشعراء إلى شعر الفتوحات والغزوات، لكن بقيت طائفة من الشعراء لم تبرأ من ظلال الجاهلية بل ظلت تعاقر الخمرة وتشبب بالنساء غير آبهة بذلك، وعلى العموم نلفي أن الشعراء قد حافظوا على افتتاح قصائدهم بالمقدمة الغزلية كقول الشاعر:[1]

- بانت سعاد فقلبي اليوم متبول متيـــــــــم إثرها لم يفد مكبول

- وما سعاد غداة البين إذ رحلوا إلا أغن غضيض الطرف مكحول

أمّا في العصر الأموي فقد تطور الغزل بتطور الحياة، ولم يبق غرضا تابعا لغيره من الأغراض الشعرية أو واسطة يستهل بها الشاعر قصيدته للوصول إلى غاية، بل صار فنّا مستقلا بذاته، له شعراء وأتباع خصصوا شعرهم له و" أتاحوا له قصائدهم كّلها، ووقفوا جهدهم عليه، كعمر بن أبي ربيعة الذي جعل منه فنا قائماً بنفسه كان عمر يقصر القصيدة على الغزل فلا يكاد يقول فيها إلاَّ غزلاً، ثم إنَّه لم يقل إلاَّ في الغزل "وهذا ما أسماه بعض الدارسين ب :

[1]- وهيب طويس، نصوص مختارة من الأدب الإسلامي والأموي، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، دمشق، 1993، ص27

"**التخصيص**"[1]ومن ثمّ، نشأت مدارس الغزل في مكة والمدينة والبادية، غزل حضري مادي صارخ اللون، جريء القول، وغزل بدوي عفيف نقي المعدن عذب الروح،[2]

وقد انقسم الغزل في العصر الأموي إلى قسمين:

الغزل العذري: هو نوع من الغزل، عرف في العصر الأموي، ولون جديد يجمع بين العفّة والطهر في عشق المرأة، والوله بها .وهو" الذي يصدر عن عاطفة صادقة، وحب عميق، وصبابة متأججة، وهو مشتعل، ملَك على المرء قلبه، وسلب لبه، وطغى على جميع مشاعره، وصرفه عن الحياة وشهواتها، وسّلط كلّ ما فيه من عاطفة وإحساس إلى المعبودة التي لا يرى في الحياة أجمل منها، وإن لم تكن من أجمل النساء، فلها يعيش، وعليها يقف حياته وفنّه، وحبه وشعره."[3] إذ نشأ الغزل العذري في البادية، وهي موطنه الأول لما فيها من تقاليد وأعراف أخذ أهلها بها، والاتصال أو الاختلاط أمر عسير؛ وينسب إلى "قبيلة عذرة"، إحدى قبائل قضاعة، وبنو عذرة هم قبيلة عربية كانت موجودة بشمال الحجاز.

خصائص ومميزات الغزل العذري: من بين ومن مميزات هذا الغزل العذري الصدق في العاطفة، والعفّة في القول، والتفاني في المحبوب، والضراعة في الحب؛ فلا يتناول الشاعر الوامق مفاتن الجسم، ولا محاسن الأعضاء، ولا ما يثير الشهوة أو يناقض العفّة، وإنّما يعتمد على المعاني الروحية والنوازع القلبية، ويشكو ما يكابد من آلام البعد، وقسوة الحرمان ، والصد

[1] - عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1981، ص367

[2] – مصطفى الشكعة، في رحلة، الشعر من الأموية إلى العباسية، الدار المصرية اللبنانية، ط1، 1997، ص23.

[3] – محمد عبد المنعم خفاجي، الأدب العربي وتاريخه في العصرين الأموي والعباسي ، دار الجيل، بيروت، د. ط، 1990، ص122.

وتجهم الأيام، ولا يشبب الشاعر إلا بامرأة واحدة ومن أشهر شعراء هذا الاتجاه: جميل بن معمر، قيس بن ذريح، قيس بن الملوح، كثير عزة، عروة بن حزام...

ومن النماذج الشعرية في هذا الاتجاه نجد قيس بن ذريح المتيم الولهان يشكو تباريح الهوى قائلا:[1]

إِلى اللَهِ أَشكو فَقدَ لُبنى كَما شَكا إِلى اللَهِ فَقدَ الوالِدَينِ يَتيمُ

يَتيمٌ جَفاهُ الأَقرَبونَ فَجِسمُهُ نَحيلٌ وَعَهدُ الوالِدَينِ قَديمُ

بَكَت دارُهُم مِن نَأيِهِم فَتَهَلَّلَت دُموعِي فَأَيُّ الجازِعينَ أَلومُ

أَمُستَعبِر يَبكي مِنَ الشَوقِ وَالهَوى أَما آخَرَ يَبكي شَجوَهُ وَيَهيمُ

تَهَيَّضَني مِن حُبِّ لُبنى عَلائِقٌ وَأَصنافُ حُبٍّ هَولُهُنَّ عَظيمُ

وَمَن يَتَعَلَّق حُبَّ لُبنى فُؤادُهُ يَمُت أَو يَعِش ما عاشَ وَهوَ كَليمُ

فَإِنّي وَإِن أَجمَعتُ عَنكِ تَجَلُّداً عَلى العَهدِ فيما بَينَنا لَمُقيمُ

وَإِنَّ زَمانا شَتَّتَ الشَملَ بَينَنا وَبَينَكُمُ فيهِ العِدى لَمَشومُ

أَفي الحَقِّ هَذا أَنَّ قَلبَكِ فارِغٌ صَحيحٌ وَقَلبي في هَواكِ سَقيمُ

ويقول جميل بن معمر :

[1]– قيس بن ذريح، الديوان، شرح عبد الرحمان المصطفاوي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط2، 2004، ص112،111.

- خَليلَيَّ إِن قالَت بُثَينَةُ ما لَهُ أَتانا بِلا وَعـــــــــدٍ فَقــولا لَها لَها
- أَتى وَهوَ مَشغولٌ لِعُظمِ الَّذي بِهِ وَمَن باتَ طولَ اللَيلِ يَرعى السُهى سَها
- بُثَينَةُ تُزري بِالغَزالَةِ في الضُــحى إِذا بَرَزَت لَم تُبــــــــــقِ يَوماً بِها بَها
- لَها مُقلَةٌ كَحلاءُ نَجلاءُ خِــلقَةً كَأَنَّ أَباها الظَبــــــــــيُ أَو أُمَّها مَها
- دَهَتني بِوِدٍّ قاتِلٍ وَهوَ مُتــــلِفي وَكَم قَتــــــــلَت بِالوُدِّ مَن وَدَّها دَها[1]

1- الغزل العمري: سمي بهذا الاسم نسبة للشاعر عمر بن أبي ربيعة زعيم الغزل الفاحش، يتغنّى فيه الشاعر إباحي فكان محققا اهتم بالجانب الحسي في المرأة، وسمي بالغزل الحضري لأنه ظهر في المدن، وكان شعراؤه من أهل أحضر الدين عاشوا حياة مترفة منعمة، وهو إباحي لأن هؤلاء الشعراء لم يتوزعوا فيه عن وصف لذة الوصال بين الرجل والمرأة.

نشأة الغزل العمري: لا غرو أنّ حياة الترف الذي انتشرت في العصر الأموي منبع هذا اللون من الغزل، فقد أصابت العصر موجة من الرخاء :فرقّ ت طباع هم، واستولى الفراغ عليهم، فاستسهلوا اللهو وانغمسوا في المجون، واستأنسوا بالغناء .وقد ظهر ذلك واضحاً في مكّة والمدينة والطائف وساعدهم على ذلك كثرة الموالي الذين اختلطوا بالمجتمع العربي، فانصرف الشعراء إلى العبث والمجون، ولم يقتصر الشاعر في تشبيبه على امرأة واحدة كالشاعر العذري بل كان مولعا بالجمال يتبعه أين يراه، ومن أشهر هؤلاء الشعراء: عمر بن أبي ربيعة، ويليه العرجي، والأحوص، ووضّاح اليمن.

[1]– جميل بن معمر، الديوان، تح: بطرس البستاني، دار صادر، بيروت، لبنان، 1982، ص136.

خصائص ومميزات الغزل العمري: من أبرز مميزاته الأسلوب القصصي إذ سلك الشعراء المسلك القصصي الذي احتوى مغامراتهم لما يتردد في نفوسهم من شهوات عارمة، ونزوات طارئة، ويطاردون النساء في كلّ واد، يقول عمر بن أبي ربيعة:[1]

سَلامٌ عَلَيها ما أَحَبَّت سَلامَنا فَإِن كَرِهَتهُ فَالسَلامُ عَلى أُخرى

بالإضافة إلى استخدام الأسلوب الحواري إذ كان الشاعر يصور عواطف المرأة العربية المتحضرة، وتهيم أرجاؤه فيها، ويسطلي الوجد بين ربوعها، استثمر الخطاب الشّعري في مكونه اللّغوي المكون القصصي، فاستوعب بذلك بعض الخصائص السّردية التعبيرية والوظيفية الحواريّة التي نجدها في الشّعر الغزلي العمري، إذ اتّخذها الشّاعر وسيلة تحقّق الدرامية، وتبعد النص عن والترهّل. فالحوار في الشعر "لا يُسْتَخْدَمُ الصّوغ الحواري الطبيعي للخطاب بكيفية أدبية، لأنّ الخطاب الشعري يكفي ذاته بذاته ولا يفترض وجود ملفوظات الآخرين، خارج حدوده. إنّ الأسلوب الشعري هو، اصطلاحا، مجرد من كل تأثير متبادل مع خطاب الآخرين، ومن كل «نظرة » نحو خطابٍ يصدر عن آخر."[2] بيد أنّ الحوار في الشّعر يتّسم بلغة خاصة تتّجه نحو الخطاب نفسه، وتصنع حالة من التّوتر والتألم، فتتحقّق هذه اللّغة كأنّها لغة أكيدة، حاسمة حاضنة لكل شيء، فعن طريق أشكالها الدّاخلية يفهم الشّاعر ويتأمل، يعبر الشّاعر عن نفسه لا شيء يستثير فيه الحاجة إلى الاستعانة بلغة أخرى.

[1] –عمر بن أبي ربيعة، الديوان، تقديم: فايز محمد، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1996، ص192

[2] – ميخائيل باختين، الخطاب الروائي، تر: محمد برادة، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 1987، صص57،58.

ومن النماذج الشعرية الدالة على أسلوب الحوار نجد قول عمر بن أبي ربيعة:[1]

- أتوصلُ زينبُ، أمْ تهجرُ، وإنْ ظلمتنا، ألا تغفرُ؟
- أدلَّـــــتْ، ولجَّ بها أنها تُرِيدُ العِتَابَ وَتَسْتَكْبِرُ
- وتعلمُ أنّ لها عندنا ذَخَائِرَ مِلْحُبِّ لا تَظْهَرُ
- ووداً، ولو نطقَ الكاشحو ن فيها وَلَوْ أَكْثَرَ المكْثِرُ
- ولستُ بناسٍ مقالَ الفتاةِ، غَداةَ المحَصَّبِ إذْ جَمَّرُوا
- أَلَسْتَ مُلِمًّا بِنَا يَا فَتًى إذا نام عنّا الأولى نحذر؟
- فقلت: بلى، أقعدي ناصحًا، يُنَفِّضُ عَنّا الَّذي يَنْظُرُ
- وآيةُ ذلكَ أن تسمعي نداءَ المصلينَ، يا معمرُ!
- فأقبلتُ، والناسُ قد هجعوا، .....
- إذا كاعِبَانِ وَرَخْصُ الْبَنَانِ أسيلٌ مقلدهُ، أحورُ
- فَسَلَّمْتُ خَفْياً فَحَيَّيْنَني وقلبيَ من خشيةٍ، أوجرُ
- وقالتْ: طربتَ، وطاوعتَ بي مَقَالَ العَدُوِّ وَمَنْ يَزْجُرُ
- فقلتُ مقال أخي فطنةٍ، سَمِيعٍ بِمَنْطِقِها مُبْصِر:

[1] – عمر بن أبي ربيعة، الديوان، ص184، 185.

- أَلِلْصَّرْمِ تَطَّلِـــــــبينَ الذُّنُوبَ ولم أجنِ ذنبًا لكي تعــذروا
- فإنْ كنتِ حاولتِ صرمَ الحبالِ، فإنّ وصـــــــالكِ لا يبتر
- فَإنْ كُنْتِ أَدْلَلْتِ كَيْ تَعْــتِبِي فَكَفّــي لَكُمْ بِالرِضَا تُوسِرُ
- فقالتْ لها حرةٌ عنـــــــدها، لذيذٌ مقبـــــــلها، معصر
- دعي عنكِ عذلَ الفتى واسعفي، فإنّ الـــــــــودادَ له أسور
- فبتُّ أحكمُ فيـــــــــما أرد تُ حَتَّى بَدَا وَاضِـــحٌ أَشْقَرُ
- تَميلُ عَلَيَّ إذا سُقْتُـــــــــها كَمَا انْهَـــــالَ مُرْتَكِمُ أَعْفَرُ
- يفوحُ القرنفلُ من جيـــــــبها، وريحُ اليلنـــــــجوجِ والعنبر
- فَبِتُّ وَلَيْـــــــلَي كَلا أَوْ بَلَى لـــــــديها، وبلْ ليلتي أقصر
- وكيفَ اجـــتنابكَ دار الحبيـ ـب، أم كيف عن ذكرِهِ تصبر؟

ويقول في موضع آخر متحشما المصاعب لنيل مبتغاه في قوله: [1]

- لَيتَ هِنداً أنجَزتــنا ما تَعـدْ وشَفَتْ أنفُســـــــنَا مِمَّا تَجِدْ
- واستَبَدَّتْ مرةً واحـــــــدةً إنَّما العَاجزُ مَن لا يَستـــــبِدْ
- زَعَموها سَأَلَت جـــــاراتِها وَتَعَرَّت ذاتَ يَومٍ تَبـــــــتَرِدْ

[1]– عمر بن أبي ربيعة، الديوان، ص106، 107.

- أكَما يَنعَتُني تُبصـــــرِنَني عَمرَكُنَّ اللهَ، أَم لا يَقتَـــصِدْ؟
- طَفلَةٌ بارِدَةُ القَيـــــظِ إذا مَعمَعانُ الصَيفِ أَضحى يَتَّقِدْ
- سُخنَةُ المِشتى لِحافٌ لِلفَتى تَحتَ لَيلٍ حينَ يَغشاهُ الصـرَّد
- حَدَّثوني أَنَّها لي نَفَثَـــت عُقَداً يا حَبَّذا تِلكَ العُقَـــــدْ
- كُلَّما قُلتُ مَتى ميـعادُنا ضَحِكَت هِندٌ وَقالَت بَعدَ غَدْ

وتأسيسا على ما سبق، نلفي أنّ عوامل كثيرة ساعدت الى قيام الغزل بنوعيه في العصر الأموي، من ترف وغناء، وما من شك ان قصيدة الغزل الحضري في العصر الاموي تمتد بجذورها الي قصيدة الغزل الحضري التي عرفت عند امري القيس والأعشى علي وجه الخصوص، في العصر الجاهلي، غير انه ما من شك ايضاً، انها تجاوزتها بالآلاف الأشواط، وذلك لتجاوز الحياة الحضرية في العصر الاموي حضارة الماضي الجاهلي بالأشواط ايضاً، وضمن هذا الأفق، ازدهر الغزل في العصر الاموي ازدهارا بحيث قد عرف الحجاز عرف بهذا الجنس آنذاك وهذا الامر ساق الباحثين بأن يروا أن الغزل وليد العصر الاموي فحسب دون ان يرتبط بالعصور الماضية، ولكن لا يمكن الاطمئنان بهذا القول ولا يمكن دراسة الغزل دراسة شاملة دون النظر الى ماضي الشعر العربي، ومن هذا نستطيع أن نستنتج أن الغزل كان موجودا في العصر الجاهلي وكان معروفا لدى الشعراء الجاهليين ولكن أنه كان مقصورا في مستهل القصائد وفي أثناء الاغراض الشعرية الأخرى وفي الواقع أنهم يأتون بالغزل ويعبرون عن عواطفهم في الحب دون أن ينفردوا القصيدة له .

قائمة المصادر والمراجع:

1-جميل بن معمر، الديوان، تح: بطرس البستاني، دار صادر، بيروت، لبنان، 1982
.ابن منظور، لسان العرب،مج: 11

2- جورج غريب: الغزل، تاريخه وأعلامه، دار الثقافة للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان(دط) (دت).

3-عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1981.

4-عمر بن أبي ربيعة، الديوان، تقديم: فايز محمد، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1996،

5-قيس بن ذريح، الديوان، شرح عبد الرحمان المصطفاوي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط2، 2004.

6-وهيب طويس، نصوص مختارة من الأدب الإسلامي والأموي، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، دمشق، 1993.

7- محمد عبد المنعم خفاجي، الأدب العربي وتاريخه في العصرين الأموي والعباسي ، دار الجيل، بيروت، د .ط، 1990.

8- مصطفى الشكعة، في رحلة، الشعر من الأموية إلى العباسية، الدار المصرية اللبنانية، ط1، 1997

9-ميخائيل باختين، الخطاب الروائي، تر: محمد برادة، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 1987.

المحاضرة الثامنة

شعر الزهد والتصوف (نصوص من المشرق والمغرب، أبو العتاهية، ابن الفارض....

محتوى المحاضرة:

- ✓ الزهد لغة واصطلاحًا
- ✓ خصائص شعر الزهد
- ✓ شعراء الزهد، نماذج شعرية (أبو العتاهية)
- ✓ التصوّف لغة واصطلاحًا
- ✓ مواضيع شعر التصوّف
- ✓ نماذج شعرية من شعر التصوف ابن الفارض رابعة العدوية.

إن المتتبع للتطورات التي لحقت العصر العباسي يلحظ بروز تيارات فكرية كثيرة ونزعات عقلية لم تشهده العصور السابقة له، وامتازت بالتجديد والتنوع وكان التحول الفكري على الموجود في الساحة الفكرية لذلك ظهرت أغراض تناقض بعضها البعض كالمجون والزندقة والزهد، مما أدى بالشعراء إلى الدفاع عن دينهم ووجهات نظرهم الفكرية، ومنها غرض الزهد وهو ترك راحة الدنيا طلبا لراحة الآخرة.

الزهد لغة: جاء في لسان أن لفظ" زهد " "الزهد "و" الزهاد " في الدنيا ولا يقال الزهد إلا في الدين خاصة، والزهد ضد الرغبة والحرص على الدنيا... والتزهيد في الشيء وعن الشيء خلاف الترغيب فيه... والزهيد :الحقير"[1] ومن ثمّ، فالزهد في الشيء إذا كان فيه عدم الرغبة.

اصطلاحا: " هو حنين الروح إلى مصدرها الأوّل لمعرفة الخالق عن طريق الزهد في الدنيا ومتاعها والرغبة عن نعيمها، وتفضّل نعيم الآخرة عليها،"[2] وصرف النظر عن الحياة وزينتها. وبالتساوق مع ذلك فإنّ الزهد فن جديد نشأ في العصر العباسي نظرا لكثرة الترف والمجون، إذ جاء كرد فعل لنقد المجتمع والدعوة إلى الرجوع إلى البساطة، وتغليب نعيم الآخرة على نعيم الدنيا.

خصائص شعر الزهد: يتميز شعر الزهد عن غيره من الأغراض الشعرية في:

- ✓ يرفض فيه الشعراء الدنيا ومتاعها ، وملذاتها

[1]– ابن منظور، لسان العرب، مج 3 ، ص196، 197

[2]– سراج الدين محمد، الزهد في الشعر العربي، دار راتب الجامعية، بيروت، د ت، ص.1

- ✓ طغيان النصح ، والإرشاد، والحث على الاستقامة.
- ✓ الإكثار من ذكر هادم اللذات (الموت)، ومآل الانسان.
- ✓ الترهيب والترغيب
- ✓ تأثر الشعراء بالقرآن الكريم، ومفرداته، وكثرة الاقتباس من آي القرآن.
- ✓ وحدة الموضوع
- ✓ سهولة الألفاظ ، والبعد عن الغريب.

ومن الشعراء الذي صدحت قرائحهم في هذا الغرض الشعري نجد: أبو العتاهية، الإمام الشافعي، مالك بن دينار، عبد الله بن المبارك، فهؤلاء الشعراء أخرجوا هذا النوع من الشعر إلى حيّز الوجود، وأبرزوه بين صنوف الشعر الأخرى، فشعر الزهد يظهر حال الشعراء الذين تخبّطت بهم الحياة بعد تقدّمهم بالسن، وترفّعهم عن كلّ ما يشغل النفس، والروح عن التعلّق بالله، ونعيم الآخرة، وملذّاتها، ودعواهم إلى التقشف، والعزوف عن الدنيا ومتاعها، والبعد عن الملذات، والتحكّم في الشهوات، وضبطها طمعاً في الجنة ونعيمها.

ومن النماذج الشعرية الدالة على ذلك قول الشاعر أبو العتاهية: [1]

- لعُمرُكَ، ما الدُنْيَا بِدَارِ بَقـــــاءِ كَفَـــاكَ بدارِ المَوْتِ دارَ فَنَاءِ
- فلا تَعشَقِ الدّنْيا، أُخـــــيَّ، فإنّما يُرَى عاشِقُ الدُّنيَا بجُــهْدِ بَلاَءِ

[1]– أبو العتاهية، الديوان، دار بيروت للطباعة والنشر، لبنان، د ط، 1986، ص.13

- حَلاَوَتُـــــهَا ممزَوجَـــــةٌ بمرارةٍ ، ورَاحتـــــــُهَا ممزوجَةٌ بِعَناءِ
- فَلا تَمشِ يَوْماً في ثِيـــــابِ مَخيلَةٍ فإنَّكَ من طينٍ، خلقتَ، ومَاءِ
- لَقَلّ امرُؤٌ تَلقـــــاهُ لله شـــاكِراً؛ وقلَّ امرؤٌ يرضَـــى لهُ بقضَاءِ
- وللّهِ نَعْمَاءٌ عَلَينا عَظيـــــــمَةٌ ، ولله إحـــسانٌ وفضلُ عطاءِ
- ومَا الدهرُ يوماً واحداً في اختِلاَفِهِ ومَا كُلُّ أيامِ الفـــتى بسَوَاءِ
- ومَا هُوَ إلاَّ يومُ بؤسٍ وشـــــدةٍ ويومُ سُـــــرورٍ، مرَّةً، ورخاءِ
- وما كلّ ما لم أرْجُ أُحرَمُ نَفْـــعَهُ؛ وما كلّ ما أرْجـوهُ أهلُ رَجاءِ
- أيَا عجبَا للدهرِ لاَ بَلْ لريـــــبِهِ، يحَرِّمُ رَيْبُ الدَّهْـــرِ كُلَّ إخَاءِ
- وشَتّتَ رَيبُ الدّهرِ كلَّ جَمـــاعَةٍ وكَدّرَ رَيبُ الدّهرِ كُلَّ صَفَاءِ
- إذا ما خَليلي حَلّ في بَرْزَخِ البِلى، فَحَسْـــبِي بهِ نأْياً وبُعْدَ لِقَاءِ
- أزُورُ قبورَ المترفـــــــينَ فَلا أرَى بَهَاءً، وكانوا، قَبـلُ،أهل بهاءِ
- وكلُّ زَمانٍ واصِلٌ بصَـــــــريمَةٍ ، وكلُّ زَمانٍ مُلطـــــــَفٌ بجَفَاءِ
- يعِزُّ دفاعُ الموتِ عن كُـــلِّ حيلةٍ ويَعْيَا بداءِ المـــوْتِ كلُّ دَواءِ
- ونفسُ الفَتَى مســـــرورَةٌ بنمائِهَا وللنقْصِ تنْمـو كُلُّ ذاتِ نمَاءِ
- وكم من مُفـدَّى ماتَ لم يَرَ أهْلَهُ حَبَوْهُ، ولا جادُوا لهُ بفِـــداءِ

- أمامَكَ، يا نَوْمانُ، دارُ سَـــعادَةٍ يَدومُ البَقَّا فيها، ودارُ شَقاءِ
- خُلقتَ لإحدى الغايَتينِ، فلا تنمْ، وكُنْ بينَ خوفٍ منهُمَا ورَجَاء
- وفي النّاسِ شرٌّ لوْ بَدا ما تَعاشَـرُوا ولكِنْ كَسَاهُ اللهُ ثوبَ غِـطَاءِ

فأبو العتاهية الذي يذكر الناس بالموت وآلامه وأهواله المرعبة بل نراه يرتعد من ذكره:[1]

- أرى الموت لي، حيث اعتمدت، كمينا فأصبحت مهموما هناك حزينا
- سيلحقني حادي المنـــــايا بمن مضى، أخذت شمالا، أو أخذت يمينا
- يقين الفتى بالموت شـــــــك، وشكّه يقين، ولكـــــن لا يراه يقينا
- علينا عيون للمــــــــــــــنون خفية، تدب دبيبا، بالمنـــــية، فينا
- وما زالت الدنيا تقـــــــــــلب أهلها فتجـــعل ذا غثا، وذاك سمينا

تأسيسا على ما سبق، نتبين أن الزهد ظاهرة عامة تنشأ في أحضان الدين وتتطور في نطاقه وتتجه إلى قواعده وأصوله؛ لتستمد منه العون على مجابهة الحياة بحيث تبين لنا من خلال ما سبق أنّ: الأحوال السياسية والاجتماعية من الأسباب التي عملت على تقوية النزعة الزهدية.

وفي هذا الإطار، يعدّ أبو العتاهية من أشهر شعراء الزهد في الأدب العربي إذ يعتبر أحد أبرز شعراء العصر العباسي انقطع إلى الزهد في أواخر حياته وأكثر من ذكر القبر واللحد وذكر الموت والبعث والوعد والوعيد.

[1]– أبو العتاهية، الديوان، ص.431

التصوف:

إنّ جدلية التجربة والكتابة في الحقل الصوفي قد جعلت المهمة صعبة أمام الراغب في اكتشاف أسرار ذلك الحقل؛ بوصف التجربة الصوفية تجربة ذاتٍ انفصمت وشائج اتصالها بعالم الأقيسة والمعايير، ما ينبئ عن انفصام آخر جسّدته الكتابة التي خرجت هي الأخرى عن نظام التأليف المعتادة، وخرقت قوانين المنظومة الإبداعية الرسمية لتطيح بمقولة الأشكال الخطابية التي لم يكن الصوفي معنيا بها بقدر عنايته برصد بعض الأذواق والمواجيد التي تمكنت منه ولم يستطع معها الصمت رغبة منه في تمرير رسالته الداعية إلى إصلاح المملكة الإنسانية.

التصوف لغة: اختلف الدارسون في اشتقاق مصطلح " التصوّف" ،وندرج أهم ما قيل في مصدر لفظة" صوفي" الآتية:

نسبة إلى الصوف، ودلالة على لبس الصوف، الصفاء والصوف: وهو "تصوّف فلانا: جعله من الصوفية، التصوف: طريقة سلوكية قوامها التقشف والتحلي بالفضائل؛ لتزكو النّفس وتسمو الروح، وعلم التصوّف: مجموعة المبادئ التي يعتقدها المتصوفة والآداب التي يتأدبون بها في مجتمعاتهم وخلواتهم. "[1]

وفي هذا الصّدد، نجد أنّ "والصوفية هي حالة تُعبّر عن نزعة من العشق الإلهي، والتعلّق بالذات الإلهيّة ويسير المتصوف في مجموعة من الأحوال والمقامات حتى يصل إلى درجة الاتحاد بالذات الإلهية"[2] ، وهذه التجارب الصوفية لا يُعبّر عنها بلغة عامة، وإنما يُعبّر عنها

[1]– ابراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، ص.529

[2]– حسن عاصي، التصوّف الإسلامي– مفهومه وتطوّره ومكانته من الدين والحياة، مؤسسة عزّ الدين، بيروت، 1994، ص.13

بلغة خاصة بالرمز، لذلك كثرت الرموز في الشعر الصوفي بخاصة، على أن أكثر هذه الرموز بشكل عام هي الرمز الغزلي والرمز الخمري ورموز الطبيعة. وبما أن التجربة الصوفية هي تجربة تقوم بالبحث عن المطلق، لكي تُعبّر عن أعمق ما فيها، إلاّ لأنه يتعذر الدخول إلى عالم المعرفة الغيبي اعتماداً على ظاهر اللغة اللفظي؛ لذلك يتمثل في أن كل شيء فيها رمزاً، كل شيء في ذاته هو وشيء آخر معه. كما ويُنسب الشعر الصوفي إلى طريقة من طُرق التدين الإسلامي وهذه النزعة إيثار وتضحية بالذات والشهوات، وإيثار لما يبقى على ما يفنى، تضحية بالعاجل وإيثار لأجل ومجاهدة للنفس. وهي عكوف وانقطاع عن العبادة، وزهد بالحياة الدُّنيا والابتعاد عن الناس، ففي هذا انقطاع عن الناس وترك الإنسان يعبد الله وحده.

اصطلاحا: اختلفت تعريفات التصوف وفقاً للظروف التي أحيطت به، وتبعاً للمرحلة التي مرّ بها، ومن هذه التعريفات الاصطلاحية: " العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى، والإعراض عن زُخرف الدُّنيا وزينتها، والزُّهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه، والانفراد عن الخلق في الخلوة والعبادة"[1] ومن بين الشعراء الذين كان لهم باع كبير في الخوض في شعر التصوف: ابن الفارض، رابعة العدوية، ابن عربي، الحلاج.

مواضيع شعر التصوف:

1- شعر السُّكر الصوفي: وهو تلك النشوة العَارمة التي تفيض بها نفس الصوفي وقد امتلأت بحب الله حتى غدت قريبة منه كل القُرب، وقد عبّر الصوفيون بكلمات

[1] – أبو العُلا عفيفي، التصوف الثورة الروحيّة في الإسلام، مؤسسة هنداوي، القاهرة،1963، ص77.

متقابلة عن حالات هذه النشوة ودرجاتها، كالغيبة، كالحضور والصحو، والسُّكر، و الذوق والشُرب وغيرها"[1] ، ومن ذلك قول ابن الفارض[2]

1-شَرِبْنا على ذِكْرِ الْحَبـــيبِ مُدامَــةً سَكِرْنا بِها مِنْ قَبْلِ أنْ يُخْلَقَ الكَرْمُ

2-لَهَا الْبَدْرُ كَأْسٌ وَهْيَ شَمْـــسٌ يُدِيرُها هِلالٌ وكَمْ إذا مُزِجَـــــتْ نَجْمُ

3-وَلَوْلاَ شَذَاها مَا اهتـــــديْتُ لِحَانِهَا وَلَوْلا سَناهَا مَا تَصَـــورَهَا الْوَهْمُ

4-وُلُمْ يُبقِ منْ ْهَا الدّهرُ غَيرَ حُشاشَةٍ كأَنَّ خَفَاها في صُدُورِ النُّهى كتْمُ

5-فإنْ ذُكِرت في الحَيّ أَصْـــبَح أهْلُهُ نَشَاوَى ولا عارٌ عَلَيْـــهمُ ولا إثْمُ

6-ومِنْ بين أحْشاءِ الدّنانِ تَصـاعَدَتْ ولَمْ يَبْقَ مِنْها في الحقـيقَة إلاّ اسْمُ

7-وَإنْ خَطَرَتْ يَوْماً عَلى خَاطِر امرْىءٍ أقامَتْ بِهِ الأفْراحُ وارَتحـــلَ الْهَمُّ

8-وَلَوْ نَظَرَ النُّـــــــدْمانُ خَتْمَ إنائهَا لأسكَرَهُمْ مِنْ دُنِها ذَلِكَ الخَتَــمُ

9-وَلَوْ نَصَـــــحُوا مِنْهَا ثَرىَ قَبرِ مَيتٍ لَعَادَتْ إلِيهِ الرَّوحُ وانتَعَشَ الجِسْمُ

10-وَلَوْ طَرَحُوا في فَيْءِ حائِطِ كرْمِهَا عَلِيلاً وَقَدْ أَشْفَى لَفَارَقَهُ السّـقمُ

[1] – عدنان حسين العَوادي، الشعر الصوفي حتى أفول مدرسة بغداد وظهور الغزالي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1967، ص.199

[2] – عمر بن الفارض، ديباجة الديوان من شرح ابن الفارض، الجزء الأول، جمعه رشيد بن غالب من شرحي البوريني والنابلسي، المطبعة الخيرية، 1310هـ، ص 145.

هذه الخمرة ليست إلا رمزاً يُعّبرُ به الشاعر عن المعرفة الإلهية وذاتها الأزلية. فهذا الوجود الأزلي يتقدم الموجودات كلها، ويسلك الشاعر في معرفتها بلغة مُحمّلة بدلالات رمزية مستوحاة من لغة الخمريين، فالسُّكر : هو المعرفة الإلهية، والكرم: هو الكرم بحد ذاته، ولكن يُنظر إليه إلى معنىً أبعد من هذا إذ لا يقصد فقط الكروم بذاتها، وإنما الخلق أجمع، وإن اقتُصر الشراب وعصره من الكرم فقط.

2- الحب الإلهي: ما إن ظهر التصوف مكتملاً متخذاً معناه الاصطلاحي حتى وافانا شعر المتصوفين في الحُب الإلهي متسامياً عن المادية البشرية، وترفعوا في حبهم عن المرأة، واتجهوا بكل مشاعرهم وعواطفهم وجهة علوية قدسية حيث شغلوا بحب ربهم وامتلأ شعرهم وجداً وهُياماً به، على أن رابعة العدوية كانت أول من دعا إلى حب الله لذاته،

إنّ والوجود الإلهي له تجليات مختلفة تراه في الكأس ، وفي البدر والشمس والقمر، فالله سبحانه وتعالى يتجلّى لنا من خلال مخلوقاته فكل ما يُشَاهد من مظاهر هو دليل على وجود الله تعالى، تقول رابعة العدوية:[1]

- أُحبكَ حُبين: حُبَّ الهَــوى وَحُبّاً لأَنــــــــكَ أَهْلٌ لِذاكَا
- فَأَمّا الّذي هو حبُّ الهَــوى فَشغلي بِذْكرِكَ عمّـــــن سِواكَا
- وَأُمَّا الّذي أَنتَ أَهْـــــلٌ لهُ فكشفُكَ لي الحُجْبَ حَتى أراكَا

[1]- أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1936، ص65.

- فلا الحمِدُ في ذاكَ ولا ذاكَ لي ولكنْ لكَ الحـــمدُ في ذَا وذَاكَا

ولعل الاقتراب من تخوم المعنى الصوفي لن يتم إلا في ظلّ الإحاطة الكاملة بظروف نشأة وظهور الظاهرة الصوفية ككل، لأنّ التفاعل بين القارئ والمعنى لن يتم إلا إذا تمكن ذلك القارئ من تشييد أفق انتظار جديد يستجيب لمقصدية الصوفي ويتحرّك معها في اتجاه واحد، وإلاّ فلن يتم التواصل أمام الهيأة الصادمة التي قدّم بها الخطاب الصوفي نفسه إلى منظومة الكتابة والإبداع المؤطرة بمعايير معينة توجه الذوق وتتحكم في مساره، ما جعل انضمامه على تلك المنظومة يكلّفه ثمنا قرائيا باهضا سقط-في إثره- عدد من الصوفية ووفرة من النصوص وقطعت أعناقهم بسيوف التلقي السلبي والقراءة التعسّفيّة.

قائمة المصادر والمراجع:

1-ابراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، مرجع سابق.

2-ابن منظور، لسان العرب، مج 3، مرجع سابق.

3-سراج الدين محمد، الزهد في الشعر العربي، دار راتب الجامعية، بيروت، د ت.

4-أبو العتاهية، الديوان، دار بيروت للطباعة والنشر، لبنان، د ط، 1986

5-حسن عاصي، التصوّف الإسلامي- مفهومه وتطوّره ومكانته من الدين والحياة، مؤسسة عزّ الدين، بيروت، 1994

6-أبو العُلا عفيفي، التصوف الثورة الروحيّة في الإسلام، مؤسسة هنداوي، القاهرة،1963،

7- عدنان حسين العَوادي، الشعر الصوفي حتى أفول مدرسة بغداد وظهور الغزالي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1967.

8- عمر بن الفارض، ديباجة الديوان من شرح ابن الفارض، الجزء الأول، جمعه رشيد بن غالب من شرحي البوريني والنابلسي، المطبعة الخيرية، 1310هـ.

9-أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، دار الكتب المصرية، القاهرة، .

المحاضرة التاسعة

شعر الحماسة : نصوص لأبي تمام . البحتري. ..... الزوزني. الشاطبي. الحماسة المغربية لأبي الحجاج

محتوى المحاضرة:

- ✓ الحماسة لغة واصطلاحًا
- ✓ الخصائص الفنية لشعر الحماسة
- ✓ ، نماذج شعرية (أبو تمام، البحتري)
- ✓ الحماسة المغربية لأبي الحجاج
- ✓ حماسة الجراوي

لا مناص أنّ لشعر الحماسة جذور ضاربة منذ العصر الجاهلي، فهو المنبع الذي يؤجّجُ في نفوس الشعراء والمستمعين الحماس والانفعال بغضِّ النظر عن المواضيع التي يتناولها، فلا يقتصر شعر الحماسة على الشعر المرتبط بالحروب والمعارك الذي يصفها ويمدحُ أبطالها، فقد يظهرُ شعر الحماسة في أشعار الفخر والمدح والرثاء والهجاء.

الحماسة لغة: جاء في لسان العرب " الحماسة المنع والمحاربة والتحمّس : التشديد والحماسة الشجاعة والأحمس: الشجاع والتشديد الصلب في الوغى والقتال،"[1] ومنه الحماسة في الشعر هي التغني بصفات الرجولة والتجلد ووصف البطولات.

اصطلاحا: " من فنون الشعر المعروف قبل الإسلام، وكانت تلازم كثيرا من المواقف كالحرب أو التحريض، أو الدعوة إلى القتال، وفيها يتناول الشعر الفخر والاعتداد بالنفس أو القبيلة أو يستثير الهمم ويحمسها للحرب،"[2] والتباهي بماضي القبيلة وحاضرها وبمظاهر القوة والانتصارات المحققة.

مكن اِعتبار بعض الخصائص أدوات فنيّة مساعدة على فهم تركيب الحماسة داخل أغراض الشّعر منها:

أ- بنية الحرب في شعر الحماسة :

[1]– ابن منظور، لسان العرب، مادة حمس، مج 4، ص.222

[2]– محمد التنوخي، المعجم المفضل في الأدب، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1999، ص381.

الحماسةُ في الشعر تأخذُ مكانها بين الأغراض الشّعريّة البارزة وتقتحمُ المدحَ والفخرَ والرّثاء اِقتحامًا لتُمجّد الأبطالَ ومآثرهم ، وتصفُ الحربَ وما يتخلّلها من مفاجآت وما يعقُبُها من اِنتصارات ويمكنُ تأكيد حضور الحرب في حماساتهم من خلال:

- غلبة المعاجم الحربيّة على غيرها من المعاجم في القصيدة الحماسيّة

ثراء المعاجم الحربيّة حتّى أنّنا نجدُ في شعرهم من أسماء الحرب يوم النّزال، يوم الطّعان، المعركة، المعمعة، الهيجاء، الوقيعة، الكريهة، المرتع، النقع، السّيف، الرّمح، القناة، البيض، المدجّج ، الصّدار، الدّرع، النّصل، العوالي، الصّارم، الحماس، الأوار، الفروسيّة، البطش، الصّولة، الفتك، الطّعن، المحرق، الزّجر، المقلق .

- التّركيز على أدقّ الجزئيّات في وصف المواقع
- الإلحاح على وصف الجيوش حسًّا ومعنًى
- توجيه الحماسة نحو وصف آثار الحروب الماديّة والنّفسيّة

ب- الخصائص الفنيّة لشعر الحماسة :

لشعر الحماسة خصائص فنية كثافتها تلفتُ الانتباه إليها في اللّغة، وذلك من خلال:

- ✓ حُسن توظيف الأبنية اللّغويّة
- ✓ توظيف تراكيب النّفي والإثبات
- ✓ توظيف الحكمة
- ✓ حُسن تخيّر المعاجم المناسبة للحماسة : مثل : معجم الحرب و معاجم الحياة والموت.

كما أن بعض الشعراء العرب الذين أثبتوا حضورهم الشعري كانوا قد تفاعلوا مع هذا الأحداث التي يمر بها عصرهم، مثل: أبو تمام، البحتري، المتنبي، فهذا أبو تمام أنشد بائيته المشهورة لما أغار الروم في أيام المعتصم بالله بن هارون الرشيد على بلدة زِبَطْرَة المسلمة وعاثوا فيها فساداً، واعتدى رومي من أهل عمّورية على امرأة عربية مسلمة فصاحت مستنجدة بالمعتصم فسخر منها الرومي، ووصل ذلك إلى المعتصم فأقسم أن ينصرها، وغزا بلاد الروم وفتح عمّورية وأسر الرومي وأحضر المرأة لتراه ويراها، وكان المنجمون نصحوا المعتصم بالانتظار حتى ينضج التين والعنب لأنه لن يستطيع فتح عمّورية قبل ذلك، لكنه لم يستمع لنصيحتهم، وغزاها وانتصر، وفي ذلك يقول الشاعر أبو تمام:

- السَّيْفُ أَصْدَقُ أَنْبَاءً مِنَ الكُتُبِ في حَدِّهِ الحَدُّ بَيْنَ الجِد واللَّعِبِ
- بيضُ الصَّفَائِحِ لاَ سُودُ الصَّحَائِفِ في مُتُونِهِنَّ جلاءُ الشَّك والرِيَبِ
- والعِلْمُ في شُهُبِ الأَرْمَاحِ لاَمِعَةً بَيْنَ الخَمِيسَيْنِ لا في السَّبْعَةِ الشُّهُبِ
- أَيْنَ الروايَةُ بَلْ أَيْنَ النُّجُومُ وَمَا صَاغُوه مِنْ زُخْرُفٍ فيها ومنْ كَذِبِ
- تَخَرُّصَاً وأَحَادِيثاً مُلَفَّقَةً لَيْسَتْ بِنَبْعٍ إِذَا عُدَّتْ ولا غَرَبِ
- عَجَائِباً زَعَمُوا الأَيَّامَ مُجْفِلَةً عَنْهُنَّ في صَفَرِ الأَصْفَار أَوْ رَجَبِ
- وخَوَّفُوا الناسَ مِنْ دَهْيَاءَ مُظْلِمَةٍ إِذَا بَدَا الكَوْكَبُ الْغَرْبِيُّ ذُو الذَّنَبِ
- وَصَيَّروا الأَبْرجَ العُلْيا مُرَتِّبَةً مَاكَانَ مُنْقَلِباً أَوْ غيْرَ مُنْقَلِبِ
- يقضون بالأمرِ عنها وهْيَ غافلةٌ مادار في فلَكٍ منها وفي قُطُبِ

- لو بيَّنتْ قطّ أَمراً قبْل مَوْقِعِه لم تُخْفِ ما حلَّب الأوثانِ والصُّلُبِ
- فَتْحُ الفُتوحِ تَعَالَى أَنْ يُحيطَ بِهِ نَظْمٌ مِن الشعْرِ أَوْ نَثْرٌ مِنَ الخُطَبِ
- فَتْحٌ تفَتَّحُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ لَهُ وتَبْرزُ الأَرْضُ في أَثْوَابِهَا القُشُبِ
- ِيَا يَوْمَ وَقْعَةِ عَمُّوريَّةَ انْصَرَفَتْ مِنْكَ المنَى حُفَّلاً مَعْسُولَةَ الحَلَبِ
- أبقيْتَ جِدَّ بَنِي الإِسلامِ في صعَدٍ والمشْرِكينَ ودَارَ الشرْكِ في صَبَب
- ِأُمٌّ لَهُمْ لَوْ رَجَوْا أَن تُفْتَدى جَعَلُوا فدَاءَهَا كُلَّ أُمٍّ مِنْهُمُ وَأَب
- وَبَرْزَةِ الوَجْهِ قَدْ أعْيَتْ رِيَاضَتُهَا كِسْرَى وصدَّتْ صُدُوداً عَنْ أَبِي كَرِبِ
- بِكْرٌ فَما افْتَرَعَتْهَا كَفُّ حَادِثَةٍ وَلاتَرَقَّتْ إِلَيْهَا هِمَّةُ النُّوَبِ
- مِنْ عَهْدِ إِسْكَنْدَرٍ أَوْقَبل ذَلِكَ قَدْ شَابَتْ نَواصِي اللَّيَالِي وهْيَ لَمْ تَشِبِ
- حَتَّى إِذَا مَخَّضَ اللَّهُ السنين لَهَا مَخْضَ البِخِيلَةِ كانَتْ زُبْدَةَ الحِقَبِ
- أَتَتْهُمُ الكُرْبَةُ السَّوْدَاءُ سَادِرَةً مِنْهَا وكانَ اسْمُهَا فَرَّاجَةَ الكُرَبِ
- جرَى لَهَا الفَأْلُ بَرْحَاً يَوْمَ أَنْقِرَةٍ إِذْ غُودِرَتْ وَحْشَةَ السَّاحَاتِ والرِّحَبِ
- لما رَأَتْ أُخْتَها بِالأَمْسِ قَدْ خَرِبَتْ كَانَ الْخَرَابُ لَهَا أَعْدَى من الجَرَبِ
- كَمْ بَيْنَ حِيطَانِهَا مِنْ فَارسٍ بَطَلٍ قَانِي الذَّوائِب من آني دَمٍ سَرِبِ
- بسُنَّةِ السَّيْفِ والخطِّي مِنْ دَمِه لا سُنَّةِ الدين وَالإِسْلاَمِ مُخْتَضِبِ

- لَقَدْ تَرَكتَ أَميرَ الْمُؤْمنينَ بِها لِلنَّارِ يَوْماً ذَليلَ الصَّخْرِ والخَشَبِ
- غَادَرْتَ فيها بَهِيمَ اللَّيْلِ وَهْوَ ضُحًى يَشُلُّهُ وَسْطَهَا صُبْحٌ مِنَ اللَّهَبِ
- حَتَّى كَأَنَّ جَلاَبيبَ الدُّجَى رَغِبَتْ عَنْ لَوْنِهَا وَكَأَنَّ الشَّمْسَ لَم تَغِبِ
- ضَوْءٌ مِنَ النَّارِ والظَّلْمَاءُ عاكِفَةٌ وَظُلْمَةٌ مِنَ دُخَانٍ في ضُحىً شَحبِ
- فالشَّمْسُ طَالِعَةٌ مِنْ ذَا وقدْ أَفَلَتْ والشَّمْسُ وَاجِبَةٌ مِنْ ذَا ولَمْ تَجِبِ
- تَصَرَّحَ الدَّهْرُ تَصْريحَ الْغَمَامِ لَها عَنْ يَوْمِ هَيْجَاءَ مِنْهَا طَاهِرٍ جُنُبِ[1]

يستهل الشاعر قصيدته بمقدمة من وحي المناسبة يقارن فيها بين العلم الناشئ عن التخمين والنظر في النجوم وبين العلم الناشئ عن الفعل والإنجاز على أرض الواقع، فما يقوله المنجمون ليس علماً لأنه ليس مدعوماً بفعل واضح الأثر، لكنّ ما يفعله السيف والأرماح اللامعة هو العلم بعينه لأن أثره بادٍ على الأرض، فسيف المعتصم كذّب خرافات المنجمين، وترك جلود جنود الروم تنضج قبل نضج التين والعنب.

مما سبق نلفي أنّ هذه القصيدة هي في الحقيقة تفكُّر في عِبرة الدهر الخالدة، وهي أنْ لا شيءَ يبقى على حال، فالزمن دوَّار، وصروف الحياة تُقلِّب الأوضاعَ، فتجعل العالي سافلًا والسافل عاليًا، إلا أن الكريم يَثبُت أمام ضربات القدر، لا يَهون ولا تَهِنُ عزيمتُه، ويَظَل شامخَ الأنف، عالي الهِمة، متماسك النفس، لا يَضرَع للجُبناء الأَخِسَّاء.

[1]– ديوان أبي تمام، بشرح الخطيب التبريزي، محمد عبده عزام، دار المعارف، القاهرة، ط3، د ت، ص45، 46.

وإذا كان الشاعر قد تناول في معظم أبيات القصيدة وصفَ إيوان كسرى، فإن هذا الوصف لم يَرِد في الواقع لذاته، بل أتى في سياق أوسع من ذلك، وهو وقوفُ البحتري متعجبًا من تقلُّب الحظوظ، تلك الحظوظ التي أطاحتْ به من حيث كانت حياته آمنةً مستقرة، وارتفعت بالأذِلاء الأَدنياء إلى حيث يظنون أنهم يستطيعون التحكم في رِقاب النُّبلاء أصحاب الشرف والفضل إذ في يقول:[1]

- صُنتُ نَفسي عَمّا يُدَنِّسُ نَفسي وَتَرَفَّعتُ عَن جَدا كُلِّ جِبسِ
- وَتَماسَكتُ حينَ زَعزَعَني الدَهـ ـرُ التِماسًا مِنهُ لِتَعسي وَنَكسي
- بُلَغٌ مِن صُبابَةِ العَيشِ عِندي طَفَّفَتها الأَيّامُ تَطفيفَ بَخسِ
- وَبَعيدٌ مابَينَ وارِدِ رِفَـــهٍ عَلَلٍ شُـــربُهُ وَوارِدِ خِمـــسِ
- وَكَأَنَّ الزَمانَ أَصبَحَ مَحمو لًا هَواهُ مَعَ الأَخَسِّ الأَخَسِّ
- وَاشتِرائي العِراقَ خُطَّةُ غَبنٍ بَعدَ بَيـــعي الشَآمَ بَيعَةَ وَكسِ
- لا تَرُزني مُزاوِلًا لِاختِباري بَعدَ هَذي البَلوى فَتُنكِرَ مَسّي
- وَقَديمًا عَهِـــــدَتني ذا آبِياتٍ عَلى الدَنِيّاتِ شُمسِ
- وَلَقَد رابَني نُبُوُّ ابنُ عَمّي بَعدَ لينٍ مِن جانِبَيهِ وَأُنسِ
- وَإِذا ماجُفيتُ كُنتُ جَديرًا أَن أَرى غَيرَ مُصبِحٍ حَيثُ أُمسي

[1] البحتري، الديوان، ج2، تح: حسن كامل الصيرفي، دار المعارف، مصر، 2009، ص1152، 1153،1154.

- حَضَرَت رَحلِيَ الهُمومُ فَوَجَّهـ ـتُ إِلى أَبيَضَ المِدائِنِ عَنـــسي
- أَتَسَلّى عَنِ الحُظوظِ وَآسـى لِمَحَلٍّ مِن آلِ ساســـانَ دَرسِ
- أَذكَرتِنيهُمُ الخُطوبُ التَـوالي وَلَقَد تُذكِرُ الخُـــطوبُ وَتُنسي
- وَهُمُ خافِضونَ في ظِلِّ عالٍ مُشرِفٍ يَحسِرُ العُيونَ وَيُخُـــسي
- مُغلَقٍ بابُهُ عَلى جَبَـــلِ القَبـ ـقِ إِلى دارَتَيَ خِلاطَ وَمُكـــسِ
- حِلَلٌ لَم تَكُ كَأَطلالِ سُعدى في قِفارٍ مِنَ البَسابِسِ مُلـــسِ
- وَمَساعٍ لَولا المِـــحاباةُ مِنّي لَم تُطِقها مَسعاةُ عَنـــسٍ وَعَبسِ
- نَقَلَ الدَهرُ عَهـــدَهُنَّ عَنِ الـ ـجِدَّةِ حَتّى رَجَعنَ أَنـــضاءَ لُبسِ
- فَكَأَنَّ الجِرمازَ مِن عَـدَمِ الأُنـ ـسِ وَإِخلالِهِ بَنِـــيَّةُ رَمـــسِ
- لَو تَراهُ عَلِمتَ أَنَّ اللَـــيالي جَعَلَت فيهِ مَـــأتَمًا بَعدَ عُـــرسِ
- وَهوَ يُنبيكَ عَن عَجائِبِ قَـومٍ لا يُشابُ البَيـــانُ فيـــهِم بِلَبسِ
- وَإِذا ما رَأَيتَ صـــورَةَ أَنـــطا كِيَّةَ اِرتَعـــتَ بَينَ رومٍ وَفُـــرسِ
- وَالمَنايا مَـــواثِلٌ وَأَنـــوشَـــر وانَ يُزجى الصُفوفَ تَحتَ الدِرَفسِ
- في اخضِرارٍ مِنَ اللِباسِ عَلى أَص فَـــرَ يَختـــالُ في صَبيـــغَةِ وَرسِ
- وَعِراكُ الرِجـــــالِ بَينَ يَدَيـــهِ في خُفوتٍ مِنهُم وَإِغماضِ جَرسِ

- مِن مُشيحٍ يَهوى بِعامِلِ رُمحٍ وَمُليحٍ مِنَ السِـــــتنانِ بِتُـرسِ
- تَصِفُ العَينُ أَنَّهُم جِدُّ أَحيا ءٍ لَهُم بَينَهُم إِشارَةُ خُـــــرسِ
- يَغتَلي فيهِـــــم ارتِابي حَتّى تَتَقَرّاهُمُ يَـــدايَ بِلَمـــــسِ
- قَد سَقاني وَلَم يُصَرِّد أَبو الغَـو ثِ عَلى العَسكَرَينِ شَربَةَ خُلسِ
- مِن مُدامٍ تَظُنُّها وَهيَ نَجـــمٌ ضَوَّأَ اللَيلَ أَو مُجاجَةُ شَمـــسِ
- وَتَراها إِذا أَجَـــــدَّت سُرورًا وَارتِياحًا لِلشـــارِبِ المُتَحَسّي
- أُفرِغَت في الزُجاجِ مِن كُلِّ قَلبٍ فَهيَ مَحبوبَةٌ إِلى كُـــلِّ نَفـــسِ
- وَتَوَهَّمتُ أَنَّ كِـــــسرى أَبَرويـ ـزَ مُعاطِيَّ وَالبَـــلَهبَذَ أُنســـي
- حُلُمٌ مُطبِقٌ عَلى الشَكِّ عَيني أَم أَمانٍ غَيَّرنَ ظَنّي وَحَدســـي
- وَكَأَنَّ الإِيوانَ مِن عَجَبِ الصَنـ ـعَةِ جَوبٌ في جَنبِ أَرعَنَ جِلسِ
- يُتَـــظَنّى مِنَ الكَـــآبَةِ إِذ يَبـ ـدو لِعَينَي مُصَبِّحٍ أَو مُمَسّـــي
- مُزعَجًا بِالفِراقِ عَن أُنسِ إِلـفٍ عَزَّ أَو مُرهَقًا بِتَطليقِ عِـــــرسِ
- عَكَسَت حَظُّهُ اللَيالي وَباتَ الـ ـمُشتَري فيهِ وَهوَ كَوكَبُ نَحـــسِ
- فَهوَ يُبدي تَجَلُّدًا وَعَلَـــــيهِ كَلكَلٌ مِن كَلاكِلِ الدَهرِ مُرسـي
- لَم يَعِبهُ أَن بُزَّ مِن بُسُطِ الـديـ ـباجِ وَاستَلَّ مِن سُتورِ المَقـــسِ

- مُشمَخِرٌ تَعلو لَهُ شُرُفـــــاتٌ رُفِعَت في رُؤوسِ رَضوى وَقُـدسِ
- لابِساتٌ مِنَ البَياضِ فَما تُبـ ـصِرُ مِنها إِلّا غَلائِـــلَ بُرسِ
- لَيسَ يُدرى أَصُنعُ إِنسٍ لِجِنٍّ سَكَنوهُ أَم صُنعُ جِـنٍّ لِإِنــسِ
- غَيرَ أَنّي أراه يَشهَـــدُ أَن لَم يَكُ بانيهِ في المَلوكِ بِنِكـــــسِ
- فَكَأَنّي أَرى المَراتِبَ وَالقـــوَ مَ إِذا ما بَلَغتُ آخِرَ حِسّـــي
- وَكَأَنَّ الوُفودَ ضاحينَ حَسرى مِن وُقوفٍ خَلفَ الزِحامِ وَخِنسِ

الحماسة المغربية لأبي الحجاج

انتقلت حماسة" أبو تمام "إلى المغرب العربي بما في العصر" العباسي "من احتكاك بالثقافات الأخرى وأحدثت في نفوس الآدباء المغاربة نوعا من الإعجاب و التنافس وحب التأليف على منوالها، وفي هذا السياق نذكر حماسة أبي الحجاج يوسف بن محمد بن إبراهيم الأنصاري البياسي الأندلسي(ت652) التي عرفت بالحماسة المغربية، إذ يعد أبو الحاج أحد فضلاء الأندلس وحفاظها المتقنين، كان أديبا بارعا، مطلعا على أقسام الكلام العربي، حفظ كتاب الحماسة لأبي تمام، وديوان المتنبي، وغيرها من الأشعار، له كتاب الحماسة في مجلدين كتبه في أواخر شهر ربيع الآخر سنة 650 [1]

[1]– ينظر :أحمد بن محمد المقري، نفح الطيب من غصن الآندلس الرطيب و ذكر وزيرها لسان الدين الخطيب مطبعة محمد محي الدين عبد الحميد، القاهرة، دط 1949 ، ص.209.

قال مضمنا وقد حضر الفتى الكبير عنبر قتالا، وكان فارسا مذكورا عند بني مرين:[1]

– ولقد أقول وعنبر ذاك الفتى يلقى الفوارس في العجاج الأكور

– يا عاثرين لدى الجلاد لعا فقد بسقت لكم ريح الجلاد بعنبر

حماسة الجراوي :أشهر كتاب مغربي في الحماسيات كان للجراوي أبو العباس ، له قصيدة استعار في نفسا بدويا أعرابيا فيه الحمية و الحماسة[2]

أحاطت بغابات العلا و المفاخر على قدم الدنيا هلال بن عامر

وزانوا السماء المجـــد عودا وبدأه سمر القنا و المرهقـــات البواتر

ممّا تقدم، يمكن القول أنّ ما سجلته الحماسة من بطولات ووقائع تاريخية ما تزال بفضلها حية في الذاكرة الجماعية للعرب، فهي وصف لشعر الحرب الذي يصف المعارك ويشيد بالأبطال ويتوعد الأعداء، وهذا الغرض قد يبدو في رثاء أبطال الحروب، أو في مدحهم، أو في سياق فخر الشاعر ببطولاته في الحرب، وقد امتزج بوصف المعارك والإشادة بالبطولة، ما يدل على اعتداد المسلمين بالجهاد واتخاذهم من شعر الحماسة مادة لإثراء القرائح الشعرية من جهة، وإلهاب مشاعر الجهاد من جهة أخرى، وقد يكون أفضل مدخل لطرق باب الحماسة هو المدخل المعنوي المتّصل بالحماسة موضوعا شعريّا، وهذا ما يُثيرُ قضيّة العلاقة بين الحماسة

[1] – لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج1، تح: يوسف علي طويل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، د ت، ص135.

[2] – أبو العباس أحمد عبد السلام الجراوي التادلي، الحماسة المغربية، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ط1، 1991، ص20.

والأغراض التّقليديّة في الشّعر العربيّ القديم. والغرضُ هو الغايةُ القصوى الّتي من أجلها تنتظمُ القصيدة أو هدفها الأقصى ، وهو هدف ماديّ في الغالب

قائمة المصادر والمراجع:

1-ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق.

2- محمد التنوخي، المعجم المفضل في الأدب، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1999.

3-ديوان أبي تمام، بشرح الخطيب التبريزي، محمد عبده عزام، دار المعارف، القاهرة، ط3، د ت،

4-أحمد بن محمد المقري، نفح الطيب من غصن الآندلس الرطيب و ذكر وزيرها لسان الدين الخطيب مطبعة محمد محي الدين عبد الحميد، القاهرة، دط 1949.

5-لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج1، تح: يوسف علي طويل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، د ت.

6-أبو العباس أحمد عبد السلام الجراوي التادلي، الحماسة المغربية، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ط1، 1991 .

7-البحتري، الديوان، ج2، تح: حسن كامل الصيرفي، دار المعارف، مصر، 2009، ص1152.

المحاضرة العاشرة

الشعر السياسي في المشرق والمغرب (الفتوحات، الخوارج، الشيعة، السجون، رثاء المدن..

محتوى المحاضرة:

- ✓ الشعر السياسي في المشرق، نماذج شعرية
- ✓ شعر الفتوحات، نماذج شعرية
- ✓ الأحزاب السياسية وأثرها على الشّعر
- ✓ رثاء المدن(نماذج شعرية من المشرق والمغرب)

اتجه الشعر في فجر الاسلام إلى خدمة الدعوة الاسلامية وإعلاء كلمة الله، لكن سرعان ما بزغ فجر العصر الأموي أصبح الشعر سلاحا ذو حدّين، فبقدر ما كان وسيلة لإثارة المحامد والمآثر كان أيضا وسيلة لإثارة الشحناء والبغضاء وإحياء العصبيات والنّعرات بين القبائل، وأصبح الشاعر يعبّر من خلاله عن نفسه وقبيلته ومذهبه، وكان شعراء بني أميّة أكثر عددا وأبعد صوتا لأنّ الخلفاء الأمويين بسطوا لهم الأكفّ وأسبغوا عليهم النّعم والهبات والعطايا، فأقبلت عليهم طوائف الشعراء تمدحهم وتؤيد حقّهم بالخلافة، وأمّا شعراء المعارضة فكانت أصواتهم تقوى بقوة أحزابهم وتضعف بضعفها، وظهر نوع جديد في الشعر عرف بـ الشعر السياسي"

الشّعر السياسي: ويقصد به تبني الشعراء لآراء ومعتقدات أحزابها وتوجهاتهم الفكرية والعصبية فـ" يقف الشاعر مؤيدا لحزب سياسي ، فيعمل على نشر مبادئ الحزب والتنويه بها بعد أن تتجسد فيه، ويشيد بزعماء حزبه ورجالاته وانتصاراته ، ويرثي من قضى من قادته ، ويهجم على غيره من الأحزاب الأخرى ويهجو سادتها ورجالها ، ويصمهم بما ينفر المسلمين منهم ، ويصرف الناس عن مذهبهم ، كل ذلك على أساس من العقيدة السياسية المذهبية التي يدين بها صاحب هذا الضرب من الشعر،" [1] ثم الترويج لها، ولقد تركت الحرب التي نشبت بين علي ومعاوية (الفتنة الكبرى) آثارها الجسيمة على المجتمع الإسلامي وذلك بظهور خلافات فكرية ومذهبية لم تكن معروفة من قبل تجلّت في ظهور أحزاب سياسية لكل منها شعراؤها وخطباؤها، وفي هذا الصّدد، نجد الشاعر كثير يتشيّع تشيعا قبيحا قائلا:[2]

[1]– علي خليل محمود الطل، التقية في العصر الأموي، رسالة ماجيستير، جامعة الخليل، فلسطين، سبتمبر، 2005، ص86

[2]–كثير عزة، الديوان، جمع وشرح إحسان عباس، نشر دار الثقافة، بيروت، 1971، ص27.

- ألا إن الأئمة من قريــش ولاة الحق أربـــــــعة سواء
- علي والثلاثة من بنـــيه هم الأسباط ليس بهم خفاء
- فسبط سبـــط إيمان وبرٍ وسبط غـــــــــيبته كربلاء
- وسبط لا تراه العين حتى يقود الخيل يقـــــدمها اللواء
- تغيب لا يرى فيهم زماناً برضوى عنده عـــــسلٌ وماء

وضمن هذا الأفق من الشعر السياسي، نلفي أن مناط قول الشعر انقسم إلى: شعر الفتوحات، وشعر الأحزاب السياسية (حزب الشيعة، حزب الخوارج، شعر السجون، رثاء المدن)، وسنتطرق لكل نوع بالدراسة والاستشهاد:

- شعر الفتوحات: لا غرو أنه في ظل الصراعات التي صاحبت قيام الدولة الأموية التي خاضوا فيها معارك طاحنة، ومن ثمّ هيّأ الشعراء قرائحهم دفاعا وإعلاءً لهذه الفتوحات وللانتصارات المحققة، وفي هذا الصّدد نلفي الأخطل يبرع في قصيدة يمدح فيها عبد الخليفة عبد الملك بن مروان ويشيد فيها بانتصاراته:[1]

- خَفَّ القَطينُ فَراحوا مِنكَ أَو بَكَروا وَأَزعَجَتهُم نَوىً في صَـــرفِها غِيَرُ
- كَأَنَّني شارِبٌ يَومَ اِستُـــــبِدَّ بِهِم مِن قَرقَفٍ ضُمِّنَتها حِمصُ أَو جَدَرُ
- جادَت بِها مِن ذَواتِ القارِ مُترَعَةٌ كَلفاءُ يَنحَتُّ عَن خُرطومِها المِدَرُ

[1]– الأخطل، الديوان، شرح وتصنيف: مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1994، ص100، 101، 102، 103

- لَذٌّ أَصابَت حُمَيّاها مُقاتِلـــــــهُ فَلَم تَكَد تَنجَلي عَن قَلبِهِ الخُمَرُ
- كَأَنَّني ذاكَ أَو ذو لَوعَةٍ خَبَلـــت أَوصالَهُ أَو أَصابَت قَلبَهُ النُشـــرُ
- شَوقاً إِلَيهِم وَوَجداً يَومَ أُتبــعُهُم طَرفي وَمِنهُم بِجَنبَي كَوكَـــــبٍ زُمَرُ
- حَثّوا المِطِيَّ فَوَلَّتنا مَـــــناكِبُــها وَفي الخُدورِ إِذا باغَمـــتَها الصُوَرُ
- يُبرِقنَ لِلقَومِ حَتّى يَختَـــــبِلنَــهُمُ وَرَأيُهُنَّ ضَعيفٌ حينَ يُختـــــــبَرُ
- يا قاتَلَ اللَهُ وَصلَ الغانِيــاتِ إِذا أَيقَنَّ أَنَّكَ مِمَّن قَد زَها الكِبَـــــرُ
- أَعرَضــنَ لَمّا حَنى قَوسي مُوَتِّرُها وَابيَضَّ بَعدَ سَوادِ اللِمَّةِ الشَـــعَرُ
- ما يَرعَوينَ إِلى داعٍ لِحاجَتـــــــهِ وَلا لَهُنَّ إِلى ذي شَيـــــــبَةٍ وَطَرُ
- شَرَّقنَ إِذ عَصَرَ العيــدانَ بارِحُها وَأَيبَسَت غَيرَ مَجرى السِنَّةِ الخُضَرُ
- فَالعَينُ عانِيَةٌ بِالماءِ تَســــــفَحُهُ مِن نِيَّةٍ في تَلاقي أَهـــــلِها ضَرَرُ
- مُنقَضِبينَ اِنقِضابَ الحَبلِ يَتبَعُهُم بَينَ الشَقيقِ وَعَينِ المِقسِمِ البَصَرُ
- حَتّى هَبَطنَ مِنَ الوادي لِغَـضبَتِهِ أَرضاً تَحُلُّ بِها شَيـــــبانُ أَو غُبَرُ.

الأحزاب السياسية وأثرها على الشعر: لقد كان من الصعب أن يتفق الناس على خليفة واحد فكل يريد أنْ تكون لأحد من قبيلته أو أحد ممن تعصّبوا له، فتفرق الناس بين أمويين وعلويين وزبيريين، وخرج البعض من هذه الفرق، فكانت البداية بظهور أحزاب سياسية

ترغب في الخلافة، فبدأت المواجهة وكان الصراع بينهم هو الحدّ الفاصل وذلك بحروب استخدمت فيها كل الأسلحة الممكنة، وكان الشّعر من بين ما استند عليه في هذه المواجهة كسلاح ذو حدّين، ومن بين هذه الأحزاب نجد:

- حزب الشيعة: بعد مأساة كربلاء أصبح التشيع لآل البيت عقيدة راسخة في نفوس الشيعة وارتبط نشاطهم السياسي في سبيل استرجاع الحق الذي اغتصبه الأمويون بنشاطهم الشعري، وأثارت هذه العقيدة جدلا واحتجاجا فأطلقوا بذلك هم وشعراؤهم ألسنة ساخطة حزينة، شعرا غلب عليه الحزن على آل البيت، وفي هذا الصّدد، نلفي أنّ الشاعر كميت بن زيد الأسدي من أشهر أنصار الحزب الشيعي؛ إذ كان شعره سيفا حادا ضدّ الأمويين وفي ذلك يقول: [1]

- طَرِبْتُ وَمَا شَوْقاً إِلَى البِيضِ أَطْرَبُ ولاَ لَعِباً أذُو الشَّوْقِ يَلْـــعَبُ
- وَلَمْ يُلْهِنِي دَارٌ وَ لا رَسْمُ منْـــزِلٍ وَلَمْ يَتَطَرَّبْنِي بَنَانٌ مُخَـــضَّبُ
- وَلكِنْ إِلَى أَهْلِ الفَضَائِلِ وَالنُّـهَى وَخَيْرِ بَنِي حوَّاءَ وَ الخَيْرُ يُطْلَبُ
- إِلَى النَّفَرِ البِيضِ الذِينَ بِحُبِّـهِمْ إِلَى اللهِ فِيمَا نَالَنِي أَتَـــقَرَّبُ
- بَنِي هَاشِمٍ رَهْطِ النَّبـــيِّ فإِنَّنِي بِهِمْ ولَهُمْ أَرْضَى مِرَاراً وَأَغْضَبُ
- وَ أُرْمَى وَ أَرْمِي بِالعَدَاوَةِ أَهْلَهَا وَ إِنّي لأوذَى فِيـــهِمُ وَ أُؤَنَّبُ

[1]- الكميت بن زيد الأسدي، الديوان ، الهاشمية الثانية، وتحقيق :محمد نبيل طريفي، دار صادر بيروت، ط1، 2000، 521، 522.

- بِأَيِّ كِتَابٍ أَمْ بِأَيَّةِ سُـــــنَّةٍ تَرَى حُبَّهُمْ عَاراً عَلَيَّ وَ تَحسِبُ؟!
- فَمَا لِيَ إلا آلَ أَحْمَدَ شِيـــعَةٌ وَمَا لِيَ إلاَّ مَشْعَبَ الحَقِّ مَشْعَبُ
- وَمَنْ غَيرَهُمْ أَرْضَى لِنَفسِيَ شِيعَةً وَمَنْ بَعدَهُمْ لاَ مَنْ أُجِلُّ وأَرْجَبُ
- فَطَائِفَةٌ قَدْ أَكْفَرَتْنِي بِحُـبِّكُمْ وطَائِفَةٌ قَالُوا مُسـِيءٌ وَمُذْنِبُ
- وَقَالُوا : تُرَابِـــيٌّ هَوَاهُ وَ رَأيُهُ، بِذلِكَ أُدْعَى فِيـــــهِمُ وَ أَلَقَّبُ
- فَيَا مُوقِداً تاراً لِغَيْـــرِكَ ضَوْؤُهَا وَيَا حَاطِباً فِي غَيْرِ حَبْلِكَ تَحْطِبُ !

حمل الكميت بن زيد في هاشمياته على أعداء آل البيت، فاستطاع أنْ يبلغ بمنطق الاحتجاج مؤثرا في الساحة السياسية وهو يقرر حق الهاشميين مبرزا حقهم في خلافة النبي صلى الله عليه وسلم، وهكذا يتحول الشعر عند الكميت إلى جدال صرف، واحتجاج خالص، وصياغة للأدلة الداحضة، وأضحى الشعر في هاشمياته متصلا بمنابع العقل بعد أن كان ارتباطه بالعاطفة أقوى وأوضح.

حزب الخوارج: لما تفاقم الخلاف بين علي ومعاوية ظهر هذا الحزب معاديا لكلى الطرفين يبيح دماءهم ويستحل أرواحهم وما اشتهروا به من نزعة التشدد والصراحة في معاملة الخصوم الكره المتبادل بينهم وبين جماعة المسلمين حتى كان اصطياد الخارجي يعني القضاء عليه ومن ذلك الشاعر عمران بن حطان يمدح ابن ملجم في فعلته الشنيعة حينما طعن الإمام علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه ، وبالمقابل يهجو الإمام على ويصفه بشرِ الخلق إنساناً ، فقال[1]:

[1]- الشهرستاني ، الملل والنِّحل، ج1، تحقيق: محمد فتح الله بدران ، مطبعة السعادة – القاهرة ،ط1، 1956 ، ص20.

- لله درُّ المــُرادي الذي سَفَكَتْ كفّاه مُهجةَ شرِّ الخلق إنساناً
- أمسى عشِيّةَ غشّــاه بضــربته ممــّا جناه من الآثامِ عــرياناً
- يا ضربةً من تَقِــيٍّ ما أراد بها إلّا ليبلغ عند العــرشِ رضوانا
- إنِّي لأذكره يومـــاً فــأحسُبُه أوفــى البريِّة عند الله ميــزاناً
- أكْرِم بقومٍ بطون الطّيرِ قبرهُــم لم يخلِطُوا دينهم بغياً وعُدواناً

مما تقدم نلاحظ أنّ شعر الخوارج قد اجتمعت فيه قوة العاطفة التي تحركها العصبية المذهبية ، فضلاً عن الأداة الصالحة للتعبير عن تلك العاطفة والمتمثلة في فطرتهم البدوية وقد لخّص إحسان عباس صورة عامة لشعر الخوارج فقال: "لون من الشعر زهدي ثوري جامح ، يُكبر الإنسان الخارجي إكباراً شديداً ، لأنّ كل إنسان ذهب في سبيل العقيدة يعد شهيداً ، فهو المثل الأعلى في نظر أصحابه بعد استشهاده ، وهو الذي يستحق الرثاء والبكاء ، مثلما أنّ الجماعة الخارجية هي العصبة المثالية التي تمثل الحق ، فهي إذن تستحق المدح والثناء ، ومن ثم كان موضوع هذا الشعر هو الإنسان – الإنسان الخارجي على وجه التحديد– والمحرك الداخلي فيه هو روح التقوى المتطرفة ، فهو لذلك أدب قوي يزيد في قوته شدة التلازم بين المذهب الأدبي والحياة العملية"[1] ويدور شعر الخوارج كله من حيث الأغراض حول مذهبهم الخارجي بشقيه (الديني والسياسي) ، ورجاله وحروبهم، ورثاء قتلاهم.

- رثاء المدن: يعتبر فن الرثاء من أقدم الفنون التي كان لها باع كبير على مرّ العصور الأدبية بدءا من العصر الجاهلي، وفي هذا الصّدد تطالعنا مرثيات الخنساء في رثاء

[1]– إحسان عبّاس : ديوان شعر الخوارج ، دار الشروق – بيروت ، ط4، 1982م، ص19

أخيها صخر، وتوالى الشعراء باكين متفجعين من فقدان موتاهم، لكن سرعان ما برز من هذا الفن شق آخر خاص برثاء المدن الذي سطع نجمه في مع شعراء الأندلس؛ إذْ هيأوا وأفردوا له قصائد بعينها، لكن لا نغفل عن القصيدة التي أبدع فيها الشاعر بن الرومي فاتحا باب طرق هذا الفن للشعراء المشارقة إذ يقول:[2]

- أيُّ نومٍ من بعد ما انتـهــك الزنـ جُ جِهاراً محارمَ الإسلام ؟
- دخلوها كأنهــم قطَــعُ الليـ ـلِ إذا راحَ مُدْلهــمَّ الظلامِ
- كمْ رضيعٍ هناك قدْ فطــموه بِشَبا السيف قبلَ حينِ الفطامِ
- كم فتاةٍ مصــونةٍ قد سَبَوْها بارزٌ وجــــهُها بغير لثامِ
- ووجوه قد رمّلــــتــها دماء بأبي تلكم الوجـوه الدوامي
- وُطِئت بالهوان والذل قــسراً بعد طولِ التَّبجيلِ والإعظام
- عَرِّجا صاحبيَّ بالبــصرةِ الزّهـ ـراءِ تعريجَ مُدنَفٍ ذي سقامِ
- فسألاها ولا جــــواب لديها لسؤالٍ ومن لها بالكــلام؟
- أين ضوضاء ذلك الخلق فيها أينَ أسواقُها ذواتُ الزِّحــامِ
- أين فلكٌ منها وفلكٌ إليــها منشآت في البحر كالأعلام

[2]- كمال أبو مصلح، إبراهيم عبد القادر المازني، ابن الرومي حياته وشعره: ، المكتبة الحديثة، بيروت، ط 1، د ت ، ص 9

- بل ألما بساحةِ المسجدِ الجا ـمع إن كنتما ذَوَيْ إلمامِ
- أين فِتيانُهُ الحسانُ وجوهاً أين أشياخُهُ ذوو الأحلامِ؟
- واحيائي منهمْ إذا ما التقينا وهُمُ عندَ حاكم الحكّامِ
- انفروا أيها الكرامُ خِفافاً وثقالاً إلى العبيدِ الطَّــغامِ
- إنْ قعدتمْ عنِ العينِ فأنتمْ شركاءُ العيـــــنِ في الآثامِ
- لا تُطيلوا المقامَ عن جنةِ الخلدِ فأنتمْ في غيرِ دارِ مُقامِ

في هذه القصيدة نلفي الشاعر يرثي البصرة، بلاده و يتلهف عليها مرارا، ويعيدها تكرارا، ويعضه إبهامه، ويزداد غرامه على مدى أعوامه، لأنها معدن الخيرات، وقبة الإسلام.

وعلى صعيد آخر استحدث الأندلسيون هذا الفن ونبغوا فيها وأفردوا له القصائد الطوال، وأصبح عندهم فنّا قائما بذاته، وفي هذا الصّدد، نلفي القصيدة الرائعة الخالدة، للشاعر أبي البقاء الرندي الذي عبّر عن الفاجعة التي حلّت بالأندلس أصدق تعبير، فلم يدع شيئا حلّ ببلاد الأندلس إلاّ وتعرض له بحزن وكمد يئن له القلب وفي ذلك يقول:[1]

- لِكُلِّ شَيْءٍ إِذَا مَا تَمَّ نُقْصَانُ فَلَا يُغَرَّ بِطِيبِ العَيْشِ إِنْسَانُ
- هِيَ الأُمُورُ كَمَا شَاهَدْتُهَا دُوَلٌ مَنْ سَرَّهُ زَمَنٌ سَاءتْهُ أَزْمَانُ
- وهذهِ الدارُ لا تُبْقي على أحدٍ ولا يدومُ على حالٍ لها شانُ

[1]- ديوان أبو البقاء الرندي الأندلسي، تح: رفعت برهام حسن، القاهرة، ط1 ، د ت، ص57، 58.

- يُمَزق الدهرُ حتمًا كلَّ سابغةٍ إذا نَبَتْ مَشرَفِيـــــــات وخَرصانُ
- ويَنتَضي كلَّ سيفٍ للفناءِ ولو كانَ ابنَ ذي يَزَنٍ والغِـــــمدَ غِمدانُ
- أينَ المُلوكُ ذوو التيجانِ من يَمَنٍ وأينَ مِنْهُمْ أكَـــــالِيلٌ وتِيـــــجانُ
- وأينَ ما شَادَهُ شَـــدَّادُ في إرمٍ وأين ما سَاسَه في الفـــــرس ساسانُ
- وأينَ ما حازَهُ قَارُونُ من ذَهَبٍ وأين عادٌ وشـــــدادٌ وقحـــــطانُ
- أتى على الكلِّ أمرٌ لا مَرَدَّ له حتى قضـــــوا فكأنَّ القومَ ما كانوا
- وَصَارَ مَا كَانَ مِنْ مُلكٍ ومنْ مَلكٍ كما حَكَى عَنْ خيالِ الطيفِ وَسْنانُ
- دارَ الزمانُ على دارا وقاتـــــله وأمَّ كـــــــــسرى فما آواهُ إيوانُ
- كأنَّمَا الصَّعْبُ لَمَ يَسهُل لهُ سببُ يومًا وَلا مَلَكَ الدنيا سلـــــيمانُ
- فجائعُ الدهرِ أنواعٌ منـــــوعةٌ وللزمانِ مَسَـــــــــرَّاتٌ وأحزانُ
- وللحوادثِ سُلوانٌ يُسَـــــهِّلُهَا وَمَا لِمَا حلَّ بالإســـــلامِ سُلوانُ
- دَهَى الجزيرةَ أمْرٌ لا عـــــزاءَ لهُ هوى لهُ أُحدٌ وانهـــــــدَّ ثَهلانُ
- أصابَهَا العينُ في الإسلامِ فارتزأتْ حتّى خلتْ منهُ أقـــــطارٌ وبلدانُ
- فاسألْ بَلَنْسِيَةَ ما شأنُ مُرسـيةٍ وأينَ شاطبةٌ أمْ أينَ جيـــــــانُ
- وأينَ قرطبةٌ دارُ العـــــلومِ فكَمْ مِنْ عالِمٍ قَدْ سما فيـــــها لهُ شانُ

- وأين حِمصُ وما تحـــويهِ مِنْ نُزَهٍ ونهرُها العذبُ فيّـــــــاضٌ وملآنُ
- قواعدٌ كُنَّ أركانَ البـــــلادِ فما عسى البقاءُ إذا لمْ تبـــــــقَ أركانُ
- تبكي الحنيفيةُ البيضاءُ مِن أسفٍ كما بكى لفراقِ الإلفِ هَيـــــمانُ
- عَلى دِيارٍ مِنَ الإسلامِ خالِيَـــةٍ قَد أَقفَرَتْ وَلَهَا بالكُـــــــفرِ عُمرانُ
- حيثُ المساجدُ قدْ صارتْ كنائسُ ما فيهنَّ إلّا نواقيـــسٌ وصـــُلبانُ
- حتى المحاريبُ تبكي وَهْيَ جامـــدةٌ حتى المـــنابرُ تَرثي وهْيَ عِيـــدانُ

ومما تقدم، يمكننا أن نجمل مزايا مرثية ابي البقاء الرندي في أن مطلعها وما تلاه من أوائل الابيات عبارة عن مجموعه من الحكم وهذه الكم لا تكاد تخرج في حملتها عن فكره الاعتبار بمن مضى من الدول والملوك في سالف العهود ،واستطاع الشاعر أن يلون عبارته مما جعلها طريقه ومتمايزة باستعانته بتلك الحوادث التاريخية التي استحضرها من اعماق التاريخ بدت الابيات بصوره عامه مكرورة المضمون، ومن الطبيعي ان يبادر الشاعر بعد ذلك إلى وصف ما دهى الأندلس من شر وبلاء.

قائمة المصادر والمراجع:

1- علي خليل محمود الطل، التقية في العصر الأموي، رسالة ماجيستير، جامعة الخليل، فلسطين، سبتمبر، 2005

2- كثير عزة، الديوان، جمع وشرح إحسان عباس، نشر دار الثقافة، بيروت، 1971.

3- الأخطل، الديوان، شرح وتصنيف: مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2.

4- الكميت بن زيد الأسدي، الديوان ، الهاشمية الثانية، وتحقيق :محمد نبيل طريفي، دار صادر بيروت، ط1، 2000.

5- الشهرستاني ، الملل والنِّحل، ج1، تحقيق: محمد فتح الله بدران ، مطبعة السعادة – القاهرة ،ط1، 1956.

6- إحسان عبّاس : ديوان شعر الخوارج ، دار الشروق – بيروت ، ط4، 1982.

7- كمال أبو مصلح، إبراهيم عبد القادر المازني، ابن الرومي حياته وشعره: ، المكتبة الحديثة، بيروت، ط 1، د ت .

8- ديوان أبو البقاء الرندي الأندلسي، تح: رفعت برهام حسن، القاهرة، ط1 ، د ت،

المحاضرة الحادية عشر

الشعر الفلسفي وشعر الحكمة

محتوى المحاضرة:

- ✓ الشعر الفلسفي (نماذج شعرية ...المتنبي، أبو العلاء المعرّي، أبو تمام.)
- ✓ الحكمة لغة واصطلاحًا
- ✓ شعر الحكمة نماذج شعرية (أبو العتاهية، المتنبي)

يعدّ العصر العباسي عصرا ذهبيا؛ وذلك لنضوج وتطور الأدب فيه والمعارف، ومما ساعد في هذا التطور اختلاط العرب مع الفرس واليونان، فكانت ثمرة هذا الاختلاط تفتحا ونهضة فكرية، ومن ثمّ، استيعاب الوافد الثقافي وحركة الترجمة وبعث أدب يحمل في طياته رؤى فكرية وطروحات فلسفية، وأصبح الأدب شعره ونثره متأثرا بالدرس الفلسفي اليوناني والحكمة الهندية والفارسية إذ أن "البناء الفني للشعر لم تنفصل وحداته عن البناء العقلي العام، بل قل إنَّ هذا البناء أخذ يتشكل في أوضاع جديدة تحت تأثير الرقي الفكري الذي أصاب العقلية العربية"[1] ومن ثمّ، فالمتأمل في الشعر العربي حتى في أوج التمازج والتلاقح الحضاري والثقافي والفكري، يجد أن من الشعراء من نأى بنفسه عن التيارات الفلسفية التي غزت المشهد الشعري آنذاك سواء عند الشعراء المحسوبين على الطوائف الكلامية أو غيرهم، إلا أن هذا الشعر ظل محتفظًا بهويته مع مجموعة من الشعراء أمثال أبو تمام، المتنبي الذي يقول[2]

- إذا ما تأملت الزمان وصـــرفه تيقنت أن الموت ضرب من الــقتلِ
- وما الدهر أهل أن تؤمل عنـده حياة وأن يُشـــتاق فيه إلى النسلِ
- تخالف الناس حتى لا اتفاق لهم إلا على شجب والخلف في الشجب
- فقيل تخلص نفـــس المرء سالمةً وقيل تَشْرَكُ جسم المرء في العــطب
- ومن تفكر في الدنيا ومهــجته أقامه الفكرُ بين العـــجز والتـعب
- يدفن بعضنا بعضاً ويمـــشي أواخـــــــــرنا على هــام الأوالي

[1]- شوقي ضيف، التطور والتجديد في الشعر الأموي، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط8 ، 1987، ص.85

[2]- المتنبي، الديوان، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، د ط، 1983، ص87

- وكم عينٍ مُقَبَلةِ النواحي كحيلٍ بالجنادل والرمالِ

وفي السياق ذاته نجد الشاعر أبو العلاء المعري يخضع كل شيء لمذهبه الفلسفي وآمن بإمامية العقل وأنكر كل إمام سواه . وقد عبر أبو العلاء عن فلسفته العقلية هذه قائلا:[1]

- أكان أبوكم آدم بالذي أتى نجيباً فترجون النجابة بالنسلِ ؟
- فدونك شغلاً ليس هذا لعله يعود بنفع لا كشغلك بالنسل
- وأكثر النسل يشقى الوالدان به فليته كان عن آبائه دفعا
- أنسل أو أعقم فالتوحد راحةٌ سيان نجلك والخبيث الناسلُ
- لو أن بني أفضلُ أهل عصري لما آثرت أن أحظى بنسلِ

وإذا انتقلنا إلى **أبي تمام** كواحد من أهم فلاسفة الشعر في العصر العباسي كما قال عنه الآمدي في موازنته فإننا لاشك سنجد شاعرا إشكاليا استطاع أن" يستخدم الثقافة والفلسفة في شعره استخدامًا فنيًّا واسعًا، يحاول بهما أن يحدث لنفسه أسلوبًا متموِجًا بالفكر زاهيًا بالعقل شديد الحركة والحياة."[2] ومن نماذج شعره:[3]

- فاضَ اللِئامُ وَغاضَتِ الأَحسابُ وَاِجتُثَّتِ العَلياءُ وَالآدابُ
- فَكَأَنَّ يَومَ البَعثِ فاجَأَهُم فَلا أَنسابَ بَينَهُمُ وَلا أَسبابُ
- أَمُوَيسُ لا يُغني اِعتِذارُكَ طالِباً عَفوي فَما بَعدَ العِتابِ عِقابُ

[1]– أبو العلاء المعري، الديوان، المطبعة الأدبية، بيروت، لبنان، د ط، 1983، ص.87

[2]– شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في الشعر العربي، دار المعارف، القاهرة، مصر، ص.244

[3]– أبو تمام، الديوان، 353

- هَب مَن لَهُ شَيءٌ يُريدُ حِـجابَهُ ما بالُ لا شَيءٍ عَلَيهِ حِجابُ
- ما إن سَمِعتُ وَلا أَراني سامِعاً أَبَداً بِصَـــــحراءٍ عَلَيها بابُ
- مَن كانَ مَفقودَ الحَياءِ فَوَجهُهُ مِن غَيرِ بَوّابٍ لَهُ بَـــــوّابُ
- مازالَ وَسواسي لِعَقلي خادِعاً حَتّى رَجا مَطَراً وَلَـيسَ سَحابُ
- ما كُنتُ أَدري لا دَرَيتُ بِأَنَّهُ يَجري بِأَفنِيَةِ البُيـــــوتِ سَرابُ
- عَجَباً لِقَومٍ يَسمَعونَ مَدائِحي لَكَ لَم يَقولوا قُم فَأَنتَ مُصابُ
- نَبَذوا بِكَذّابٍ مُسَيلَمَةً فَقَد وَهِموا وَجاروا بَل أَنا الكَـــــذّابُ
- هَتَّكتُ دِيني فَاِستَتَرتُ بِتَوبَةٍ فَأَنا المُقِرُّ بِذَنبِهِ التَـــــــــوّابُ

هذا وقد عدّ المتنبي من أشهر الشعراء الذين نبغوا في الشعر الفلسفي في العصر العباسي إذ عرف بقوة أفكاره، وغنى تجاربه ومن شعره الفلسفي: [1]

- عَلى قَدرِ أَهلِ العَزمِ تَأتي العَزائِمُ وَتَأتي عَلى قَدرِ الكِرامِ المَـــكارِمُ
- وَتَعظُمُ في عَينِ الصَغيرِ صِغارُها وَتَصغُرُ في عَينِ العَظيمِ العَـظائِمُ
- يُكَلِّفُ سَيفُ الدَولَةِ الجَيشَ هَمَّهُ وَقَد عَجَزَت عَنهُ الجُيوشُ الخَضارِمُ
- وَيَطلِبُ عِندَ الناسِ ما عِندَ نَفسِهِ وَذَلِكَ مالا تَدَّعيهِ الضَـــــراغِمُ

[1]- المتنبي، الديوان، ص385، 386.

- يُفَدّي أَتَمُّ الطَيرِ عُمراً سِلاحـــهُ نُسورُ المِلا أَحداثُها وَالقَـــشاعِمُ
- وَما ضَرَّها خَلقٌ بِغَيـــرِ مَخالِبٍ وَقَد خُلِقَت أَسيافُهُ وَالقـــوائِمُ
- هَلِ الحَدَثُ الحَمراءُ تَعرِفُ لَونَها وَتَعلَمُ أَيُّ الساقِيَينِ الغَمـــائِمُ
- سَقَتها الغَمامُ الغُرُّ قَـــبلَ نُزولِهِ فَلَمّا دَنا مِنها سَقَتها الجَماجِمُ

وفضلا عن ذلك، يمكننا القول أنّ الحضور الفلسفي في الشعر العربي أورثه غنى وعمقا، جعل الشاعر يتغلغل في حقائق الأشياء والمعاني والأفكار، فيصل بذلك إلى أبعد أغوارها ودخائلها.

شعر الحكمة:

الحكمة لغة: "تُعرفُ الحكمة لغة بأنّها معرفة أفضل الأمور والأشياء بأفضل العلوم والعلم ومعرفة أمور الفقه والعدل"[1] أما اصطلاحا قال أبو إسماعيل الهروي: "الحِكْمَة اسم لإحكام وضع الشيء في موضعه وهي على ثلاث درجات: الدرجة الأولى أن تعطي كلّ شيء حقّه ولا تعديه حده ولا تعجّله وقته، والدرجة الثانية أن تشهد نظر الله في وعيده وتعرف عدله في حكمه، وتلحظ بره في منعه، والدرجة الثالثة أن تبلغ في استدلالك البصيرة وفي إرشادك الحقيقة، وفي إشارتك الغاية "[2]. فالحكمة عُصارة تجربةِ الشاعر في حياتِه إلى الناس من خلال المعاني التي يتمّ ذكرها في القصائد، حيث تتضمن قصائد الحكمة بعض النصائح التي تفيدُ الناس في حياتهم، بما في ذلك الحكم المرتبطة بالجانب الديني، والتي تدعو إلى الحرص على

[1]– إبراهيم أنيس، وآخرون، المعجم الوسيط، دار الدعوة، القاهرة، 2010، ص 190.

[2]– عبد الله الأنصاري الهروي، منازل السائرين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د ط، 1988، ص 78.

التمسُّك بالأعمال الصالحة التي تُفيد الإنسان في الحياة الآخرة، وهناك العديد من الشعراء التي تميّزوا بشعر الحكمة مثل أبو العتاهية الذي يحث أبناء جلدته عدم التعلق بالدنيا والانشغال بالآخرة وفي ذلك يقول:[1]

- طَلَبتُكِ يا دُنيا فَأَعذَرتُ في الطَلَب فَما نِلتُ إِلّا الهَمَّ وَالغَمَّ وَالنَصَب
- فَلَمّا بَدا لي أَنَّني لَســـتُ واصِلاً إِلى لَذَّةٍ إِلّا بِأَضـــــعافِها تَعَب
- وَأَسرَعتُ في ديني وَلَم أَقضِ بُغيَتي هَرَبتُ بِديني مِنكِ إِن نَفَعَ الهَرَب
- تَخَلَّيتُ مِمّا فيكِ جُهــدي وَطاقَتي كَما يَتَخَلّى القَومُ مِن عَرَّةِ الجَرَب
- فَما تَمَّ لي يَوماً إِلى اللَيـــلِ مَنظَرٌ أُسَرُّ بِهِ لَم يَعتَـــرِض دونَهُ شَغَب
- وَإِنّي لَمِمَّن خَيَّبَ اللَهُ سَعـــيَهُ إِذا كُنتُ أَرعى لَقحَةً مُرَّةَ الحَلَب
- أَرى لَكَ أَن لا تَستَـــطيبَ لِخِلَّةٍ كَأَنَّكَ فيها قَد أَمِنتَ مِنَ العَطَب
- أَلَم تَرَها دارَ افتِراقٍ وَفَـــجعَةٍ إِذا ذَهَبَ الإِنســـانُ فيها فَقَد ذَهَب

ومن جهة أخرى نجد الشاعر أبو الطيب المتنبي يسوق جملة من الحكم من بينها معاناة الناس وشقائهم وفي ذلك يقول:[2]

- صَحِبَ الناسُ قَبلَنا ذا الزَمانا وَعَناهُم مِن شَأنِهِ ما عَنانا

[1] – أبو العتاهية، الديوان، ص49.

[2] – المتنبي، الديوان، ص474.

- وَتَوَلَّوا بِغُـــــصَّةٍ كُلـــــُّهُم مِن ـهُ وَإِن سَرَّ بَعضُهُم أَحيانا
- رُبَّما تُحسِنُ الصَنـــــيـــــعَ لَياليـ ـهِ وَلَكِن تُكَـدِّرُ الإِحسانا
- وَكَأَنّا لَم يَرضَ فيـــــــنا بِرَيبِ الـ ـدَهرِ حَتّى أَعانَـهُ مَن أَعانا
- كُلَّما أَنبـــــــتَ الزَمانُ قَنـــاةً رَكَّبَ المِرءُ في القَـناةِ سِنانا
- وَمُرادُ النُفوسِ أَصـــــــغَرُ مِن أَن نَتَعادى فـــــيهِ وَأَن نَتَفانى
- غَيرَ أَنَّ الفَتى يُلاقي المِـــــــــنايا كالحِاتٍ وَلا يُلاقي الهَـــوانا
- وَلَوَ أَنَّ الحَياةَ تَبـــــــــــقى لِحَيٍّ لَعَدَدنا أَضَلَّنا الشُـــجعانا
- وَإِذا لَم يَكُن مِنَ المِـــــــــوتِ بُدٌّ فَمِنَ العَجزِ أَن تَكونَ جَبانا
- كُلُّ ما لَم يَكُن مِنَ الصَعبِ في الأَنـ ـفُسِ سَهـلٌ فيها إِذا هُوَ كانا

والحكم التي ساقها كبير الشعراء هي:

-أن كل الناس يعانون في هذه الحياة وأيام المعاناة أكثر من أيام السعادة.

-أن الإنسان يساهم في شقائه ويساعد الدهر على صناعة الشقاء والحرب

-أن الشريف الشجاع يفضل الموت على الهوان

-إن الحياة لو تدوم لأحد لكان الشجاع أحمق بخوضه الأخطار لكن الكل ميّت

-ما دمت ستموت فلتمت شجاعاً خوّاضاً الوغى

-كل شيء يبدو للإنسان صعباً فإذا حصل يصبح سهلاً.

تأسيسا عل ما سبق، نرصد أنّ الشعر في العصر العباسي أخضع للمنطق بسبب أثر الثقافتين اليونانية والفارسية على الجانب الفلسفي والعقلي، ومن ثمّ، إخضاع التجربة الشعرية للمنطق والفلسفة أبعد الشعر عن الخيال والعاطفة، واتسم الشعراء بسمة الحكماء والفلاسفة لا بسمة الشعراء بسبب خوضهم في قضايا فلسفية في شعرهم.

قائمة المصادر والمراجع:

1-إبراهيم أنيس، وآخرون، المعجم الوسيط، دار الدعوة، القاهرة، 2010.

2-أبو العلاء المعري، الديوان، المطبعة الأدبية، بيروت، لبنان، د ط، 1983.

3-أبو تمام، الديوان، مرجع سابق.

4-أبو العتاهية، الديوان، مرجع سابق.

5-شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في الشعر العربي، دار المعارف، القاهرة، مصر.

6-شوقي ضيف، التطور والتجديد في الشعر الأموي، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط 8، 1987.

7-عبد الله الأنصاري الهروي، منازل السائرين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د ط، 1988.

8-المتنبي، الديوان، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، د ط، 1983.

المحاضرة الثانية عشر

الموشحات والأزجال

محتوى المحاضرة:

- ✓ الموشّح لغة واصطلاحًا
- ✓ مكونات الموشح، نماذج شعرية (ابن اللبانة، لسان الدين بن الخطيب)
- ✓ الزجل لغة واصطلاحًا (نماذج شعرية ابن قزمان)
- ✓ أشكال الأزجال وأوزانها وسماتها

برع الأندلسيون في بعث فن جديد يتلاءم مع البيئة التي كثر فيها الغزل والشراب والغناء إذ فكان ثمرة ذلك الموشح الذي يعتمد أكثر من وزن وأكثر من قافية، فيعمد الوشاح فيه إلى ضرب من التنويع والافتنان العروضي، زد على ذلك عدم الالتزام بالفصحى بل عمدوا إلى العامية أو العجمية؛ غير أن هذا التعدد اللغوي لم يحط من قيمة الموشحات والأزجال الأندلسية.

الموشح لغة: يذهب ابن منظور إلى أن "الوشاح حلي للنساء ، كرسان من لؤلؤ وجوهر منظومان مخالف بينهما معطوف أحدهما على الآخر تتوشح المرأة به "[1] وفي السياق ذاته، نلفي أنّ الزّمخشري يتفق مع ابن منظور في تعريف الموشح إذْ يقول:" الموشح أو الوشحة، من الإيشاح والوشاح، وهو حلي للنساء أو هو كرسان من لؤلؤ وجوهر منظومان مخالف بينهما معطوف أحدهما على الآخر، لتتزين به المرأة أو هو سير منسوج من جلد يرصع بالجوهر تشده المرأة بين عاتقها وكشحبها والموشح اسم مفعول يدل على أن الناظم قد وضع منظومته على شكل وشاح،"[2] وعليه يمكن أن تعرف الموشح بمعنى اللباس بما فيه من زخرف وجمال.

[1]– ابن منظور، لسان العرب، مادة وشح، ص.305

[2]– أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين الكتابة والشعر ، القاهرة، ص190 .

الموشح اصطلاحا: لون شعري اختص به الأندلسيون وهو "كلام منظوم على وزن مخصوص يتألف في الأكثر من ستة أقفال وخمسة أبيات ويقال له التام وفي الأول من خمسة أقفال وخمسة أبيات ويقال له الأفرع "[1]

نشأ الموشح في الأندلس لا يختلف عن القصيدة التقليدية إلا في تعدد قوافيه وتنوع أوزانه أحيانا " أوّل ما ظهر في عهد الدولة المروانية في القرن التاسع الميلادي ويتخلف عن غيره من ألوان النظم بالتزامه قواعد معينة من حيث التقفية وبخروجه على الأعاريض الخليلية وبخلوه أحيانا أخرى من ألوان الشعري وباستعماله لغة الدارجة والعجمية في بعض أجزائه وبالتصاقه الوثيق بالغناء."[2]

من أشهر الوشاحين الأندلسيين: لسان الد ينٌ بن الخطبٌ، ابن زهر، أبو بكر عبادة ،

ابن سهل الإشبيلي، ابن زمرك.

مكونات الموشّح: يتألف الموشح التام من ستة أقفال وخمسة أبيات ويتكون من:

1-المطلع:

[1] – ابن سناء الملك : دار الطرز في عمل الموشحات، تح: جودت الركابي، دار الفكر، دمشق، ط2، 1977،ص32

[2] – مصطفى عوض كريم، فن التوشيح ص 14 ، دار الثقافة، بيروت ، 1974، ص.18

هو الأشطار الأولى في الموشحة، و القفل الأول، و لا يشترط وجوده في الموشحة، فليس من أجزائها الأساسية، من ذلك موشحة ابن مهلهل كمثال للموشح التام[1]

مطلع: ⇦ النهرُ سَلّ حساما على قُدودِ الغصونِ

و للنسيمِ مجالُ

و الروضُ فيه اختيالُ

2- البيت: "هي أجزاء مؤلفة مفردة أو مركبة، يلزم في كل بيت منها أن يكون متفقاً مع بقية أبيات الموشح، في وزنها و عدد أجزائها لا في قوافيها، بل يحسن أن تكون قوافي كل بيت منها مخالفة لقوافي البيت الآخر."[2] وفي هذا الصّدد، نجد ابن اللبانة يقول: [3]

كم ذا يؤرّقني ذو حدقِ مرضى صحاح لا بُلين بالأرقِ

قد باح دمعي بما أكتمُه

وحنّ قلبي لمن يظلمُه

رشا تمرّن في لا فمُه

كم بالمنى أبداً ألثمُه

[1] – سيد غازي، ديوان الموشحات الأندلسية، مج1، منشأة المعارف، الأسكندرية، 1979 ، ص549

[2] – ابن سناء الملك، دار الطراز في عمل الموشحات، ص25 ، 26

[3] – سيد غازي، ديوان الموشحات الأندلسية، المجلد الأول، منشأة المعارف، الأسكندرية، 1979 ، ص239

وضمن هذا الأفق، عدد الأقفال والأبيات داخل الموشحة غير دقيقة، فنجد أن هناك موشحات خرجت عن هذه القاعدة و قد اشتملت موشحة لسان الدين بن الخطيب على أحد عشر قفلاً وعشرة أبيات:[1]

- جادَكَ الغيْثُ إذا الغيْـثُ هَمى يا زَمانَ الوصْلِ بالأنـــدَلُـــسِ
- لمْ يكُنْ وصْلُكَ إلاّ حُلُـــما في الكَـــرَى أو خِلسَةَ المخْتَلِسِ
- إذْ يقودُ الدّهْرُ أشْـــتاتَ المنَى تنْقُـلُ الخَطْوَ علَى ما يُرْسَـــمُ
- زُفَراً بيْنَ فُرادَى وثُـــــــنَى مثْلَما يدْعو الوفودَ المـــوْسِـمُ
- والحَيا قدْ جلــلَ الرّوضَ سَنا فثُغـــورُ الزّهْرِ فيهِ تبْـــــسِمُ
- ورَوَى النّعْمانُ عنْ ماءِ السّما كيْفَ يرْوي مـــالِكٌ عنْ أنسِ
- فكَساهُ الحُسْنُ ثوْباً مُعْلـــَما يزْدَهي منْـــــــهُ بأبْهَى ملْبَسِ
- في لَيالٍ كتَمـــــَتْ سرَّ الهَوى بالدُّجَى لوْلا شُمـــوسُ الغُرَرِ
- مالَ نجْمُ الكأسِ فيها وهَـوى مُسْتَقَـــيمَ السّيْرِ سعْدَ الأثَرِ
- وطَرٌ ما فيهِ منْ عيْـــبٍ سَوَى أنّهُ مرّ كلَمْـــــــحِ البصَرِ
- حينَ لذّ الأنْسُ مَع حُلْوِ اللّمَى هجَمَ الصُّبْحُ هُجـــومَ الحرَسِ

[1]- أحمد بن محمد المقري التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق احسان عباس، المجلد السابع، دار صادر، بيروت، 1968 ، ص1 1، 12، 13

- غارَتِ الشُّهْـــــبُ بِنا أو ربّما أثّرَتْ فيها عُيـــــونُ النّرْجِسِ
- أيُّ شيءٍ لامرِئٍ قدْ خـــلَصا فيكونُ الرّوضُ قد مُكِّـــنَ فيهْ
- تنْهَبُ الأزْهارُ فيهِ الفـــرُصا أمِنَتْ منْ مَكْـــــرِهِ ما تتّقيهْ
- فإذا الماءُ تَناجَى والحَـــــصَى وخَلا كُلُّ خَلـــــيلٍ بأخيهْ
- تبْصِرُ الورْدَ غَيـــــــــوراً برِما يكْتَسي منْ غيْظِهِ ما يكْتَسي
- وتَرى الآسَ لَبيـــــــــباً فهِما يسْرِقُ السّمْـــــعَ بأذْنَيْ فرَسِ
- يا أُهَيْلَ الحـــــــــيّ منْ وادِي الغضا وبقلْـبي مسْكَنٌ أنْتُمْ بهِ
- ضاقَ عنْ وجْدي بكُـــمْ رحْبُ الفَضا لا أبالِي شرْقُهُ منْ غَرْبِهِ
- فأعِيدوا عهْدَ أنْسٍ قـــدْ مضَى تُعْتِقوا عانِيـــــكُمُ منْ كرْبِهِ
- واتّقوا اللهَ وأحْيُوا مُغْـــــــرَما يتَلاشَى نفَـــــــساً في نفَسِ
- حُبِسَ القلْبُ عليْـــكُمْ كرَما أفَتَرْضَوْنَ عَفـــــــاءَ الحُبُسِ
- وبقَلْبي منْكُمُ مقْـــــــتَرِبٌ بأحاديثِ المنَى وهـــــوَ بَعيدْ
- قمَرٌ أطلَعَ منْهُ المغْـــــــرِبُ بشِقوةِ المغْـــرَى بهِ وهْوَ سَعيدْ
- قد تساوَى مُحسِنٌ أو مُذْنِبُ في هَـــواهُ منْ وعْـــــدٍ ووَعيدْ
- ساحِرُ المقْلَةِ معْسولُ اللّمى جالَ في النّفـــسِ مجَـالَ النّفَسِ

- سدَّدَ السّـــهْمَ وسمّى ورَمى ففؤادي نُهْبـــــــةُ المُفْتَرِسِ
- إنْ يكُنْ جارَ وخابَ الأمَلُ وفؤادُ الصّبِّ بالشّوْقِ يَذوبْ
- فهْوَ للنّفْسِ حَبيـــبٌ أوّلُ ليْسَ في الحُبِّ لمحْبوبٍ ذُنوبْ
- أمْرُهُ معْتَمـــــــــدٌ ممْتَثِلُ في ضُـلوعٍ قدْ بَراها وقُلوبْ
- حكَمَ اللّحْظُ بِها فاحْتَكَما لمْ يُراقِبْ في ضِعافِ الأنْفُسِ
- مُنْصِفُ المـظْلومِ ممّنْ ظَلَما ومُجازي البَريءِ منْها والمسي
- ما لقَلْبي كلّما هبّـتْ صَبا عادَهُ عيدٌ منَ الشّوْقِ جَديدْ

3-القفل: "هي أجزاء مؤلفة يلزم أن يكون كل قفل منها متفقا مع بقيتها، في وزنها و قوافيها و عدد أجزائها"[1] و من موشحة ابن اللبانة قفل مركب من ثمانية أجزاء[2]

على عُيونِ العين رَعَى الدرارِى مَن شغف بالحبِ

واستعذَب العذاب والتذّ حَالَيهِ مِن أسف وكربِ

4-الغصن: هو مصطلح أطلقه المحدثون على كل جزء من أجزاء الأقفال و منها المطلع والخرجة، و"تتساوى الأغصان في جميع الأقفال في العدد، و تتماثل في الترتيب."[3]

[1]- ابن سناء الملك، دار الطراز في عمل الموشحات ، ص25

[2]- سيد غازي، ديوان الموشحات الأندلسية ، ص20

[3]- زهيرة بوزيدي، نظرية الموشح – ملامحها في آثار الدارسين العرب و الأجانب، رسالة ماجستير، جامعة أبي بكر بلقايد، الجزائر، 2006 ، ص 69

وهذا ما نلفيه في موشحة لسان الدين بن الخطيب:

(غصن) جادك الغيثُ إذا الغيثُ همى (غصن)يا زمانَ الوصل بالأندلسِ

(غصن) لم يكن وصلُكَ إلا حُلما (غصن) في الكرى أو خِلسة المختَلس

5- الخرجة: هي" عبارة عن القفل الأخير من الموشح"[1]جعل لسان الدين بن الخطيب الخرجة على لسان إحدى النساء، بعد التمهيد بكلمة تقول:[2]

أقلقها الهجر كجمر الغضا وشفها عتب فجاءت تقول:

حسبي عفو الله لم ذا العتاب إن كان وأذنبت تراني نتوب

أمس أذنب العبد و اليوم تاب والتوب يمحي يا حبيبي الذنوب

الزجل: لغة جاء في لسان العرب: " الزجل بالتحريك اللعب والجبلة ورفع الصوت، وخصّ بالتطريب"[3] أما اصطلاحا فهو ضرب من ضروب النظم يختلف عن القصيدة من حيث الإعراب والقافية كما يختلف عن الموشح من حيث الإعراب ولا يختلف عنه من جانب القافية .وبهذا يعتبر الزجل شعرا ملحونا ولغته لست عامية خالصة بل مهذبة بنوع من التعريب، يذهب الباحثون إلى أن الزجل ظهر متأخرا عن الموشح إذ يعد المرحلة الثالثة لتحول الشعر في الأندلس فالمرحلة الأولى هي مرحلة الشعر الفصيح ثم الموشح وأخيرا الزجل.

[1]- ابن سناء الملك، دار الطراز في عمل الموشحات ، ص30

[2]- محمد زكريا عناني، ديوان الموشحات الأندلسية مستدرك يتضمن نصوصا تنشر لأول مرة، دار المعرفة الجامعية، الأسكندرية، د.ت، ص89

[3]– ابن منظور، لسان العرب، مج:11، مادة زجل، ص302.

من بين زجالي الأندلس: ابن قزمان، ابن حجة الحموي، علاء الدين بن مقاتل، الأديب الذهبي

ومن الأمثلة الدالة على هذا النوع من شعر الأزجال نجد قول ابن قزمان:[1]

- حبِيبِي كبش العيد أَنا حريْفـــــــك.
- لِش تصطحي تْنفر ؟ أنا ضعيفُـــك.
- إش حال جبينك إش حالَ صديَقك.
- إش حال شواياتك إش حال قديدك.
- من يراني ثالث العيد وأَنا نْقطع وَنشوِي.
- وَترى كبش معلق والقطيطيس تحت يعوِي.
- وأَنا نصهل انعرس ماعي أو عقيَقة.

الزجل الأندلسي مثله مثل الموشحات من حيث تناوله لموضوعات الشعر التي تناولتها القصيدة المعربة . والذي يتصفّح ما وصل من أزجال الأندلسيين يرى أنهم قالوا الزجل في : الغزل والمدح والوصف والخمريات والمجون والتصوف وغير ذلك من فنون الشعر التقليدية المعروفة .

أشكال الأزجال وأوزانها وسماتها :

[1] – عبد العزيز الأهواني ، الزجل في الأندلس،83

جمعت الأزجال بين القصائد والموشحات من حيث الأشكال والأوزان .

فالقصائد الزجلية، في أول صورة ظهرت لهذا الفن العامي المستحدث تتفق مع القصائد المعرَبة التقليدية في التزام الوزن الواحد، والقافية، والمطلع المصرَّع، ولا تختلف عنها في شيء غير اللحن والإعراب واللغة .

الزجل + القصيدة المعربة التقليدية (يتفقان في : الوزن الواحد + القافية + المطلع المصرَّع)

الزجل – القصيدة المعربة التقليدية (يختلفان في : اللحن + الإعراب + اللغة)

كما تتفق الأزجال مع الموشحات في الأجزاء الأساسية التي تُبنى عليها من : مطلع وأسماط وأقفال وأدوار وخرجة ، ثم تختلف هي عن الموشحات في البعد عن تعدد فقرات بعض الأجزاء ، وفي التقليل من قوافي الفقرات الداخلية ، ثم في التزام خرجة واحدة عامية دائما .

قائمة المصادر والمراجع:

1-ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق

2-أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين الكتابة والشعر ، القاهرة.

3-ابن سناء الملك : دار الطرز في عمل الموشحات، تح: جودت الركابي، دار الفكر، دمشق، ط2، 1977

4-مصطفى عوض كريم، فن التوشيح ص 14 ، دار الثقافة، بيروت ، 1974.

5-سيد غازي، ديوان الموشحات الأندلسية، مج1، منشأة المعارف، الأسكندرية، 1979

6-سيد غازي، ديوان الموشحات الأندلسية، المجلد الأول، منشأة المعارف، الأسكندرية، 1979

7-أحمد بن محمد المقري التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق احسان عباس، المجلد السابع، دار صادر، بيروت، 1968 .

8-زهيرة بوزيدي، نظرية الموشح – ملامحها في آثار الدارسين العرب والأجانب، رسالة ماجستير، جامعة أبي بكر بلقايد، الجزائر، 2006

9-محمد زكريا عناني، ديوان الموشحات الأندلسية مستدرك يتضمن نصوصا تنشر لأول مرة، دار المعرفة الجامعية، الأسكندرية، د.ت.

10- ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق.

المحاضرة الثالثة عشر

الشعر الأندلسي. (نصوص من أشعار ابن زيدون.....)

محتوى المحاضرة:

- ✓ توطئة عن الشعر الأندلسي وتطوره
- ✓ خصائص ومميزات الشعر الأندلسي
- ✓ شعراء الأندلس
- ✓ نماذج شعرية من شعر الأندلس(شعر الطبيعة، شعر الغزل، رثاء المدن)

لا مناص أنّ الشعر الأندلسي في بداياته كان محافظاً على اقتفاء آثار المشارقة في طرق الموضوعات نفسها وبالأسلوب نفسه ردحا من الزمن، هذا التقليد انعكس على تسمية بعض الشعراء بأسماء شعراء اقتفوا آثارهم في طريقة نظم الشعر؛ إذْ لقّب ابن هانئ الأندلسي بـ متنبي الأندلس، وابن زيدون بـ بحتري الأندلس، إلى أنْ جاءت ريح الافتتان بالتجديد، ومن ثمّ سعت القصيدة الأندلسية لتكون مختلفة في مضامينها وأشكالها، ودعوى تحررها لم تكن في الجوهر سوى بحث عن التعدد والتنوع والتفرد في صيغها وتراكيبها ولغتها ورؤاها، فهذا المبتغى المختلف هو أفقها الشعري المستقبلي، ومن ثمّ ،كان همها أن تتوفر على قدر من الإمكانات الجمالية التي تحقق شعريتها وفي هذا الصدد، تصبح اللغة التي ينصهر فيها الواقع والحلم والاستشراف والرؤيا وعمق المعرفة وإشراقة الروح مطلبا أساسيا لتشييد نص مختلف. هذه اللغة هي التي تتلون أيضا بتحولات وتوهجات الرؤيا الشعرية ذلك " أنّ الشّاعر قد عاد يدرك بوعي كاف طبيعة عمله، وهي أنّ يقول الشّعر أوّلا، وأنْ يخترع في سبيل ذلك كلّ صورة وكلّ لفظة تقضي بها ضرورة أنّه يقول الشّعر."[1]

وعلى صعيد آخر وجب التنويه إلى قضية هامة هي أنّ الكثير ممن يعتبر الأندلس عصرًا زمنيًّا قد مرّ على الأمّة، وإنّما كانت بدايتها في عهد الخلافة الأموية، ثمّ عاصرت الخلافة العباسيّة في بغداد، ومع ذلك فقد بقيت تابعة للخلافة الأموية حتى عصر الطوائف، ويرى الباحثون أنّ التسمية الأنسب هي: "الشعر العربي في الأندلس"[2]

---

[1]- عز الدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر وقضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، دار العودة، بيروت، لبنان، ط1، 1983، ص194.

[2]– ينظر، زروقي بن فطيمة، ليازيدي فاطيمة، مظاهر التجديد في الشعر الأندلسي، مطبوعات جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم – الجزائر، ، صفحة 7 ، 8.

خصائص ومميزات شعر الأندلس:

تميّز الشعر الأندلسي بخصائص متعدّدة وفي هذا الإطار نلفي أنّ ألفاظ الشعر الأندلسي سهلة رقيقة عذبة، خيالية ما فيها أثر أو خلل، فجاء أكثر شعرهم جاريا على الطبع من غير تكلّف أو تصنّع، وتتميّز معاني الشعر بأنّها واضحة جليّة بعيدة عن تعمّق الفلاسفة، وقد برع شعراء الأندلس في التصوير وأغرقوا في التخيل[1]، زد على ذلك تخلص الشعر الأندلسي من قيود القصيدة التقليدية، ويظهر هذا واضحًا في الموشحات الأندلسية، وعلى صعيد آخر تميز الأندلسيون بشعر الطبيعة، و تفوقوا فيه، وأتوا بقصائد كثيرة تعبر عن جمال طبيعة الأندلس من بساتين، وحقول، وأزهار، وأنهار، وغيرها.

شعراء الأندلس:

من أبرز شعراء العصر الأندلسي الذين ألفوا العديد من القصائد نجد : أبو البقاء الرندي، أبو إسحاق الألبيري، ابن الزقاق البلنسي، ابن خفاجة، ابن دارج القسطلي، ابن زمرك، ابن زيدون، ابن سهل الأندلسي، ابن شهاب، ابن شهيد، ابن عبد ربه، ابن هانئ الأندلسي، ابن خفاجة، المعتمد بن عباد، ابن الأبار.

نماذج شعرية من شعر الأندلس:

[1]– ينظر، مصطفى الشكعة، الأدب الأندلسي، موضوعاته وفنونه، ج1، دار العلم للملايين، تحقيق :احسان عباس، الناشر، دار صادر، بيروت، لبنان، 1968 ، ص248

1- شعر الطبيعة: تفنن الأندلسيون في شعر الطبيعة ووصف ما فيها ولم يدعوا شيئا فيها إلا وبرعوا في وصفه، وفي هذا الإطار نجد الشاعر ابن خفاجة الذي اقترن اسمه بشعر الطبيعة ومناظرها بأبيات جميلة معبرة من الأوصاف والتشبيهات الجميلة والاستعارات الرائعة المبنية على بيئة الأندلس وحضارتها ما تطير له النفس ارتياحاً وقبولاً وإعجاباً قائلا:[1]

سقيًا ليوم قد أنختُ بسرحةٍ ريّا تُلاعبُها الشمال فتلعب

سكرى يغنّيها الحمام فتنثني طرباً ويسقيها الغمام فتشرب

يلهو فترفع للشبيبة راية فيه ويسرج للتصابي مركب

ويكرمن كأس المداحة أشقر يجري ويطلع للسلافة كوكب

والروض وجه أزهر والظل فر غٌ أسود والماء ثغر أشنب

وفي السياق ذاته، يرى ابن خفاجة الذي عرف بوصاف الطبيعة المرح شجرة منورة كساها نورها فتنة وبهجة فيصفها وصفاً جميلاً وقد تراكمت عليها قطرات الندي ، فيقول [2]:

يا رب مائسة المعاطف تزدهي من كل غصن خافق بوشاح

مهتزة يرتج من أعطافها ما شئت من كفل يموج رداح

نفضت ذوائبها الرياح عشية فتملَّكتها هزّة المرتاح

حطّ الربيع قناعها عن مفرق شمط كما ترتد كأس الراح

[1] – ديوان ابن خفاجة ، دار المعرفة، بيروت، ط1، 2006، ص40، 41

[2] – المرجع نفسه، ص79، 80.

لـفـاء حـاك لها الغمام ملاءة بست بها حسنا قميص صباح

نـضـح الـندي نوارها فــكأنما مسحت معاطفــها يمين سماح

ولوي الخليج هناك صفحة معرض لثمت سوالــفها ثـغور أقاح

1- شعر الغزل: لقد كان لحياة الترف والطبيعة الأخاذة أثر على قرائح الشعراء في جميع الأغراض الشعرية عموما، وعلى وجه الخصوص شعر الغزل إذ إنّ الشّاعر الأندلسي قد خصّص حيزًا كبيرًا من شعره في ذكر محبوبته، ومن أوضح الأمثلة التي جاءت في الغزل ما كان بين ولّادة وابن زيدون الذي نظم قصيدته مجاراة للشعراء المشارقة فجاءت قصيدة ابن زيدون على نمط قصيدة البحتري، وفي هذا الصّدد، نلفي أنّ شعراء الأندلس " يولون وجوههم نحو المشرق يقلدون شعراءه في مذاهبهم ونماذجهم."[1] وضمن هذا الأفق، تطالعنا قصيدة ابن زيدون في وصف محبوبته ولادة بن المستكفي نموذجا لهذا التقليد إذ يقول:[2]

- أَضحى التَنائي بَديلاً مِن تَدانينا وَنابَ عَن طيبِ لُقيانا تَجافينا

- أَلّا وَقَد حانَ صُبحُ البَينِ صَبَّحَنا حَينٌ فَقامَ بِنا لِلحَينِ ناعينا

- مَن مُبلِغُ الملبِسينا بِانتِزاحِهِمُ حُزناً مَعَ الدَهرِ لا يَبلى وَيُبلينا

- أَنَّ الزَمانَ الَّذي مازالَ يُضحِكُنا أُنساً بِقُربِهِمُ قَد عادَ يُبكينا

[1] شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في الشعر العربي، ص435

[2]– ابن زيدون، الديوان، شرح كرم البستاني، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، د ط، 1979، ص10، 11.

- غيظَ العِدا مِن تَساقينا الهَوى فَدَعَوا بِأَن نَغَصَّ فَقالَ الـــــدَهرُ آمينا
- فَانحَلَّ ما كانَ مَعقوداً بِأَنفُـــــسِنا وَانبَتَّ ما كانَ مَوصولاً بِأَيـــدينا
- وَقَد نَكونُ وَما يُخـــــشى تَفَرُّقُنا فَاليَومَ نَحنُ وَما يُرجـــى تَلاقـينا
- يا لَيتَ شِعري وَلَم نُعتِب أَعادِيَكُم هَل نالَ حَظّاً مِنَ العُـــتبى أَعادينا
- لَم نَعتَقِد بَعدَكُم إِلّا الوَفاءَ لَكُم رَأياً وَلَم نَتَقَـــلَّد غَيـــــرَهُ دينا
- ما حَقَّنا أَن تُقِرّوا عَينَ ذي حَسَدٍ بِنا وَلا أَن تَسُرّوا كاشِحـــــاً فينا
- كُنّا نَرى اليَأسَ تُسلينا عَوارِضُهُ وَقَد يَئِسنا فَما لِليَأسِ يُغـــــرينا
- بِنتُم وَبِنّا فَما اِبتَلَّت جَوانِحُنا شَـــــوقاً إِلَيكُم وَلا جَفَّت مَآقينا
- نَكادُ حينَ تُناجيكُم ضَمائِرُنا يَقضي عَلَينا الأَسى لَولا تَأَسّينا
- حالَت لِفَقدِكُمُ أَيّامُنا فَغَدَت سوداً وَكانَت بِكُم بيضاً لَياليا
- إِذ جانِبُ العَيشِ طَلقٌ مِن تَأَلُّفِنا وَمَربَعُ اللَهوِ صافٍ مِن تَصافينا
- وَإِذ هَصَرنا فُنونَ الوَصلِ دانِيَةً قِطافُها فَجَنَـــينا مِنهُ ما شينا

3- رثاء الممالك والمدن: كما وأسلفنا الذكر في المحاضرة السابقة أنّ الأندلسيين برعوا وتفنّنوا في رثاء الممالك والمدن التي سقطت على أيدي الإسبان؛ إذ عّد لهم فضل السبق على

المشارقة في طرق هذا الفن (رثاء الممالك والمدن)، ومن أشهر القصائد التي ذاع صيتها نونية أبي البقاء الرندي[1]

- لِكُلِّ شَيْءٍ إِذَا مَا تَمَّ نُقْصَانُ فَلَا يُغَرَّ بِطِيبِ العَيْشِ إِنْسَانُ
- هِيَ الأُمُورُ كَمَا شَاهَدْتُهَا دُوَلٌ مَنْ سَرَّهُ زَمَنٌ سَاءتْهُ أَزْمَانُ
- وهذهِ الدارُ لا تُبْقي على أحدٍ ولا يدومُ على حالٍ لها شانُ
- يُمَزق الدهرُ حتمًا كلَّ سابغةٍ إذا نَبَتْ مَشرَفِيات وخَرصانُ
- ويَنتَضي كلَّ سيفٍ للفناءِ ولو كانَ ابنَ ذي يَزَنٍ والغِمدَ غِمدانُ

ولم ينفرد أبو البقاء الرندي في طرق هذا الفن، بل برع فيه شعراء كثر، فهذا الشاعر ابن الأبار يستنجد بأبي زكريا الحفصي ليخلص بلنسية من الحصار بقوله: [2]

- أَدْرِكْ بِخَيْلِكَ خَيْلِ اللَّهِ أنـــــدلُسَاً إنَّ السَّبِـــــــــيلَ إلَى مَنْجاتِها دَرَسَا
- وَهَبْ لهَا مِنْ عَزيزِ النَّصْرِ مَا الْتَمَسَتْ فَلَمْ يَزَلْ مِنْكَ عزُّ النَّـــــصْر مُلْتَمَسا
- وَحاش مِمَّا تُعانِيهِ حُـــــــشَاشَتهَا فَطَالَما ذَاقَتِ البـــــــلَوَى صَبَاحَ مَسَا
- يَا للجَزيرَةِ أَضْـــحَى أَهلُها جَزَراً لِلحَادِثَاتِ وأَمْـــــــسَى جَدُّهَا تَعَسا
- في كُلِّ شارِقَةٍ إِلْـــــــمَامُ بَائِقَةٍ يَعُود مَأْتَمُها عِندَ العِـــــــــدَى عُرُسا

[1]– أبو البقاء الرندي، الديوان، ص75

[2]– أبو عبد الله محمد ابن الأبار القضاعي البلنسي، الديوان، قراءة وتعليق: عبد السلام الهراس، مطبعة فضالة، المغرب، د ط، 1999، ص408، 409

- وَكُلِّ غَارِبَةٍ إِجْـــــــحَافُ نائِبَةٍ تَثْنِي الأَمَانَ حِـــــــذاراً والسرُور أَسَى
- تَقَاسَمَ الرومُ لا نَالَتْ مَقَاسِمُــهُم إلا عَقَائِلَها المِحْـــــــــــجوبَةَ الأُنُسَا
- وَفِي بَلَنْسِيـــــــــةٍ مِنْها وَقُرْطُبَةٍ ما يَنْسِفُ النَّفــسَ أَو ما يَنزِفُ النَّفَسا
- مَدائِنٌ حَلَّها الإشْرَاكُ مُبْتــَسِماً جَذْلانَ وارتَحَـــــــــلَ الإيمانُ مُبْتَئِسا
- وَصَيَّرَتْها العَوادِي العَابِثـــاتُ بِها يَسْتَوحِشُ الطَّرْفُ مِنْها ضِعْفَ ما أَنِسا
- فَمِنْ دَسَاكِرَ كانَتْ دُونَهَا حَرَساً وَمِنْ كَنَائِسَ كَانَتْ قَبـــــــلَها كُنُسا
- يَا لِلْمَساجِدِ عَادَتْ للعِدَى بِيَعاً ولِلنِّداءِ غَدَا أَثْناءَها جَـــــــــرَسا
- لَهْفِي عَلَيها إلَى استِرجَاعِ فائِتِها مَدارِساً لِلْمَثـــــانِي أصبَحَتْ دُرُسا
- وَأَربعا نَمْنمَتْ يُمْنَى الرَّبيعِ لَها ما شِئت مِنْ خِلَعٍ مَــوْشِيَّةٍ وكُسى
- كانَتْ حدَائِقَ للأَحْدَاقِ مؤنِقَةً فَصَــوَّحَ النَّضْرُ مِن أَدْواحِها وَعَسا

وتأسيسا على ما سبق، دأبت رحلة الشعر الأندلسي بالمضي مجاراة لشعر المشارقة، حتى تفوقوا عليهم في أغراض شعرية غير معهودة، وأخرى استقلت بذاتها في شعرهم، ولم يمضِ زمن طويل حتى بدأت القصائد الشعرية الأندلسية تُنظم بسلاسة، فنظم الشعراء قصائد صارت خالدة في الشعر العربي، ويعزى السبب في ذلك إلى ما تتمتّع الأندلس من طبيعة أخاذة، وقصور شاهقة.

قائمة المصادر والمراجع:

1-عز الدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر وقضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، دار العودة، بيروت، لبنان، ط1، 1983.

2-زروقي بن فطيمة، ليازيدي فاطيمة، مظاهر التجديد في الشعر الأندلسي، مطبوعات جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم – الجزائر.

2- مصطفى الشكعة، الأدب الأندلسي، موضوعاته وفنونه، ج1، دار العلم للملايين، تحقيق :احسان عباس، الناشر، دار صادر، بيروت، لبنان،1968

3- ديوان ابن خفاجة ، دار المعرفة، بيروت، ط1، 2006.

4- شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في الشعر العربي، مرجع سابق.

5- ابن زيدون، الديوان، شرح كرم البستاني، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، د ط، 1979.

6- أبو البقاء الرندي، الديوان، مرجع سابق.

أبو عبد الله محمد ابن الأبار القضاعي البلنسي، الديوان، قراءة وتعليق: عبد السلام الهراس، مطبعة فضالة، المغرب، د ط، 1999.

المحاضرة الرابعة عشر

نصوص من الشعر الجزائري القديم. بكر بن حماد التيهرتي...

محتوى المحاضرة:

- ✓ الجذور التاريخية للشعر الجزائري القديم
- ✓ نماذج شعرية من الشعر الجزائري القديم (أفلح بن عبد الوهاب، بكر بن حماد، ابن رشيق القيرواني)

صنّف الشعر الجزائري القديم ضمن الأدب المغربي القديم، ولا غرو أنّ "الأدب العربي القديم في الجزائر موجود – ما في ذلك من ريب – وأن قدمه أساسا ينطلق من تاريخ تأسيس الدولة الرستمية، التي يرتبط بعض الشعر والنثر بحكامها أنفسهم."[1] وفي هذا الإطار نلفي قصائد تدخل في إطار شعر المناسبات، وفي الوصف، وأشعارا في التصوف إلى جانب قصائد في الفخر والغزل والرثاء، ويظهر جليا تأثر الشعراء الجزائريين بالمشارقة نظرا لاحتكاكهم الشديد بهم، راسمين بذلك خارطة الطريق بفضل الظروف السياسية والاجتماعية والثقافية والاستعمارية .

الجذور التاريخية للشعر الجزائري القديم:

وإذا تفحصنا جذور الحقب التاريخية في الجزائر فإنّنا نقف بوضوح على الظروف والمعطيات التي نشأ فيها الشعر الجزائري القديم ففي الدولة الرستمية: (299-160هـ؛ 676-911م) عاصمة الرستميين بتيهرت عرفت أسماء شعراء سطع نجمهم في الشعر الجزائري أمثال: أبو الفضل أحمد بن القاسم البزار، أحمد بن فتح التاهرتي، بكر بن حمّاد، أفلح بن عبد الوهاب الذي يبين قيمة وأهمية العلم من جهة وخصال طالب العلم من جهة أخري كالحث على السفر من أجله والتحلي بالصبر وعدم الافتخار به والابتعاد عن مراءاة الناس واتخاذه وسيلة لاستغلال أموال الناس فالعلم هو بمثابة المصباح الذي ينير الظلمات ويبددها:[2]

– العلم أبقى لأهل العلم آثارا يريك أشخاصهم روحا و أبكارا

[1]– عبد الملك مرتاض، الأدب الجزائري القديم دراسة في الجذور، دار هومة، الجزائر، دط، 2005 ، ص.9

[2]– محمد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص30

- حي و إن مات ذو علم وذو ورع ما مات عبد قضى من ذاك أوطارا
- العلم در له فضل ولا أجتد في الناس يدري لذاك الدر مقدارا
- للعلم فضل على الأعمال قاطبة عن النبيئ رويينا فيه أخبارا
- يقول طالب علم بات ليلته في العلم أعظم عند الله أخطارا
- من عابد سنة لله مجتهدا صام النهار وأحيا الليل أسهارا

وعلى صعيد آخر نجد الشاعر بكر بن حمّاد الذي يعتبر أشهر شعراء ذلك الزمان لذيوع صيته في المشرق والمغرب فقد "نال حظّا وفيرا في كتب التَّراجم والموسوعات، من بينها: نفح الطيب للمقري، وخزانة الأدب للبغدادي، وترتيب المدارك للقاضي عياض، والبيان المغرب لابن عذارى المراكشي، والأزهار الرياضية لسليمان الباروني، والحياة الأدبية بالقيروان في عهد الأغالبة للعبيدي، والدر الوقاد من شعر بكر بن حماد لابن رمضان شاوش، وتاريخ الجزائر في القديم والحديث للشيخ مبارك الميلي، وتاريخ الجزائر العام للشيخ عبد الرحمن الجيلالي، والأدب الجزائري القديم: دراسة في الجذور لعبد الملك مرتاض، وغيرها[1]" ومن بين أشهر القصائد التي تطالعنا في شعره مرثيته لابنه التي يقول فيها:[2]

- بكيت على الأحبة إذا تولوا ولو أني هلكـــت بكوا عليا

[1]- مختار حبار، الخطاب الأدبي القديم في الجزائر(دراسة بيبليوغرافيا)،منشورات مختبر الخطاب الأدبي في الجزائر، جامعة وهران، دار الأديب ،وهران،2007م، ص.81

[2]- محمد بن رمضان شاوش ، الدر الوقاد من شعر بكر بن حماد، المطبعة العلوية ،مستغانم ، الجزائر ، ط 1966،1، ص87.

- فيا نسلي بقاؤك كان ذخرا وفقدك قد كوى الأكباد كيا
- كفى حزنا بأني منك خلو وأنك ميت وبقيـــــت حيا
- ولم أك آيسا فيئـــــست لما رميت الترب فوقك من يديا
- فليت الخلق إذا خلقوا أطاعوا وليتك لم تكن يا بكر شيا
- نسر بأشهر تمضي ســـراعا وتطوى في ليـــــالهن طيا
- فلا تفرح بدنيا ليـــس تبقى ولا تأسف علـــيها يا بنيا
- فقد قطع البقاءَ غُروبُ شمس ومطلعها علـــيا يا أخـيا
- وليس الهم يجـــــلوه نهار تدور له الفـــراقد والثريا

وعلى صعيد آخر، نجد في طليعة الشعراء القدامى أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني الشاعر الأديب الناقد الذي " إنْ نظم طاف الأدب واستلم، أو نثر أهل العلم وكبر، أو نقد سعى النقد الأصيل وحفد، أو كتب سجد القلم الضئيل واقترب"[1] فكان فعلا عملاق الشعر في زمن الأدباء، ومن شعره نجد:[2]

- فَتىً رَبُّهُ دِرْهَمُـــهْ وَفارِسُـــــهُ أَدْهَمُـهْ

[1]– ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تح: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، د ط، ص597

[2]– ابن رشيق القيرواني، الديوان، جمع وترتيب عبد الرحمان باغي، دار الثقافة، بيروت، لبنان، د ط، 1989ص181، 182

- وَغَيْرُ حَلالٍ جَمي ـع مَا فِيهِ إِلاَّ دَمُـــهْ
- تَكَوَّنَ مِنْ بُغْضِهِ فَلا أَحَـــــدٌ يَرْحَمُـهْ
- وَيشْتِمُ كُلَّ امْرِىءٍ وَكُلُّ امْرىءٍ يَشْتِـمُهْ
- تَبَدَّى لَنا ضَاحِكاً فَقُلْتُ اسْتُهْ أَوْ فَمُهْ

وقال في قصيدة أخرى: [1]

- أَهْوَاكَ إِلاَّ أَنَّـــــــــني أَكْتُمُ وَقَلْبُ مَنْ يَهْوى كَما تَعْلَمُ
- وَكَيْفَ أَشْكُو حُرُقَـــاتِ الْهَوى وَأَنْتَ لا تَرْثي ولا تَرْحَـــمُ
- كَذا بلا ذَنْـــــــــبٍ وَلا زَلَّةٍ يُقْتَلُ هذا الرَّجُلُ المسْـــلِمُ
- إِنْ كُنْتَ لا تَرْضى بِقَتْلِ امْرِيءٍ مِنْ أَيْنَ في خَدِّكَ هذا الدَّمُ
- لَيْسَ بِمأْمُونٍ عَلى مُهْـــــجَةٍ مَنْ كانَ في مُقْلَتِهِ مِخْـــذَمُ
- حَسْبُ المحِبِّيْنَ الَّذينَ ابْتُـــلُوا بِالْحُبِّ أَنِّي واحِدٌ مِنْـــهُمُ

ممّا سبق، يمكننا القول أنّ الشعر الجزائري القديم غني بمادة شعرية غزيرة؛ وبالأخص من حيث تركيبها النفسي والفكري، وهذا الأمر يضفي عليها أبعاداً دلاليةً متنوعة عبر أساليب فنّية

[1] – ابن رشيق القيرواني، الديوان، جمع وترتيب عبد الرحمان باغي، دار الثقافة، بيروت، لبنان، د ط، 1989، ص 186، 187.

مختلفة، ممّا يجعلها تبلغ المستوى المطلوب من الكثافة الدلالية والتصويرية، بمنأى عن تسطيحها وإفراغها من غناها الإشاري، وعموما لقد تعامل الشّاعر الجزائري في بناء قصيدته بما يحمل من رؤية فكرية خاصة، ومن هنا كانت الظروف السياسية والاجتماعية يضفي عليها الشاعر مشاعره الخاصة؛ فهي بمثابة لوحات حمّالة أوجه دلاليا يتّخذها وسيلة للتخفيف من حدة الصّراع الذي كان يعيشه أو حدة الإرهاصات الّتي واجهها في حياته، إضافة إلى إحساسه المرهف الذي جعله يعيش غربة روحية وفكرية في آن واحد.

قائمة المصادر والمراجع:

1-عبد الملك مرتاض، الأدب الجزائري القديم دراسة في الجذور، دار هومة، الجزائر، دط، 2005 .

2-محمد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.

3- مختار حبار، الخطاب الأدبي القديم في الجزائر(دراسة بيبليوغرافيا)،منشورات مختبر الخطاب الأدبي في الجزائر، جامعة وهران، دار الأديب ،وهران،2007.

4- محمد بن رمضان شاوش ، الدر الوقاد من شعر بكر بن حماد، المطبعة العلوية ،مستغانم ، الجزائر ، ط 1،1966.

5-ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تح: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، د ط.

6-ابن رشيق القيرواني، الديوان، جمع وترتيب عبد الرحمان باغي، دار الثقافة، بيروت، لبنان، د ط، 1989.

خاتمة

لاشك أنّ ما قدمناه حول محاضرات النّص الأدبي القديم (شعر)، قد سمح لنا بالوقوف على بعض الاستنتاجات في هذا الصدد سواء من حيث التنظير أو الإبداع. وعلى هذا النحو، أكون قد استخلصت مجموعة من النتائج، هي كالآتي:

- الشّعر الجاهلي نظم في إطار شعري مشهور يبدأ بالوقوف على الأطلال، ومن ثمّ التغزل بالحبيبة، ويتضمن في كثير من نصوصه وصف البيئة التي كان لها تأثير على نفسية الشعراء.

- هذّب الإسلام ألسنة الشعراء متأثرين بالقرآن الكريم وأوامر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكان شعرهم إما دعوة لهذا الدين، أو مدحا للرسول ووصف المعارك والفتوحات، أو هجاءً فيمن تطاول على المساس بالدين والرسول.

- استخدم الشعر العربي القديم كنوع من أنواع الدعاية القبلية والمنافرات، ومن ثمّ اتجه الشعراء إلى المبارزة الكلامية وعرف لون شعري تمثل في شعر النقائض مع ثالوث النقائض(جرير، الفرزدق، الأخطل)، وظهور لون شعري جديد يتمثل في الشعر السياسي.

- في العصر العباسي نلفي شعر الزهد الذي ظهر كرد فعل على تيار اللهو والمجون، وتأثر الشعر بالفلسفة والحكمة نتيجة تمازج الثقافات في العصر العباسي، وفي هذا الإطار عرف الشعر تطورا ملحوظا في جميع الأغراض الشعرية، ونتيجة لهذا التطور سمي العصر العباسي بالعصر الذّهبي.

- القيمة التي عرف بها الشعر الأندلسي إذ برع شعراؤه في وصف الطبيعة، وطرق فن جديد يتمثل في رثاء الممالك والمدن، بالإضافة إلى بروز الموشحات والأزجال الأندلسية التي ظهرت نتيجة التأثر بالغناء.

- لم يكن الشعر الجزائري القديم في معزل عن الشعر العربي؛ وإنّما كان فرعا من فروعه بحكم الانتماء إلى لغة واحدة، وفي هذا الصّدد، لاحظنا أمثلة عن نصوص شعرية جزائرية قديمة ترقى إلى مستوى شعر المشارقة.

وفي الأخير نرجو أنْ نكون قد وفقنا في إنجاز هذا المحاضرات، وما كان من صواب فمن الله عز وجل، وما كان من خطأ فمن نفس مقصرة ومن الشيطان. وهذا مبلغ جهدنا، والله المستعان.

مقدمة ..... أ- ت

المحاضرة الأولى :الشعر العربي القديم تاريخيا وجغرافيا..... 2

المحاضرة الثانية: شعر المعلقات مضامينها وأساليبها نصوص من شعر زهير، امرئ القيس 18

المحاضرة الثالثة: شعر الصعاليك (نصوص ... لامية الشنفرى...) 48

المحاضرة الرابعة: الشعر في صدر الإسلام..... 66

المحاضرة الخامسة :المراثي النبوية 78

المحاضرة السادسة : شعر النقائض 89

المحاضرة السابعة :الشعر العذري والشعر العمري..... 104

المحاضرة الثامنة: شعر الزهد والتصوف (نصوص ابن الفارض..... 115

المحاضرة التاسعة: شعر الحماسة (نصوص أبو تمام..... 127

المحاضرة العاشرة: الشعر السياسي في المشرق والمغرب (الفتوحات الخوارج، الشيعة.. 140

المحاضرة الحادية عشر: الشعر الفلسفي وشعر الحكمة..... 152

المحاضرة الثانية عشر: الموشحات والأزجال..... 162

المحاضرة الثالثة عشر: الشعر الأندلسي (نصوص من أشعار ابن زيدون..... 172

المحاضرة الرابعة عشر: نصوص من الشعر الجزائري القديم (نصوص بكر بن حماد..... 181

الخاتمة..... 188

الفهرس.....191